

## الباب الثالث

طرق البحث في علم الاجتماع

obeikandi.com

## الفصل الأول

علم الاجتماع وموقف الباحث فيه

- الاجتماع كعلم بين العلوم
- الموضوعية في علم الاجتماع
- التجريب في علم الاجتماع
- الاجتماع علم نظري
- قابلية الظواهر الاجتماعية للملاحظة

obekandl.com

## الفصل الأول

### علم الاجتماع وموقف الباحث فيه

#### الاجتماع كعلم بين العلوم :

يقصد بكلمة علم أكثر من معنى واحد ، فهو بمعناه الواسع عبارة عن ناحية من نواحي المعرفة البشرية والبحث عن زيادة توسيع هذه المعارف بطرق تتصل بالتحصيل أو الوصف أو البحث ، أما المعنى الضيق لكلمة علم فيقتصر على ناحية من نواحي المعرفة تتصل بالطبيعة أو الإنسان ، والمعنى الضيق هذا هو الذى يطلق مثلاً على المواد التى تدرس فى كلية العلوم وفى بعض الكليات الأخرى ومنها كلية الآداب . والفرق بين هذه المواد وبين تلك التى لا يطلق عليها علوم هو فى الطريقة نفسها التى نحصل بها المعرفة ، فأنواع المعرفة تكون علمية إذا حصلنا عليها بالطرق التى اصطلاح على أنها علمية ، وكذلك يطلق على الشخص الذى يحصل على أنواع من المعرفة بهذه الطرق أنه عالم Scientist . وهذه الدراسة تتطلب السير بحسب أسس معينة منها أن تكون موضوعية objective وليست شخصية Subjective فيكون الوصف دون إصدار أحكام أو قيم معينة ، فى حين أننا فى دراستنا للفنون والآداب مثلاً لا تكون لدراستنا قيمة إذا لم تصاحبها أحكامنا وآراؤنا الشخصية وذلك على عكس المفروض فى دراستنا العلمية التى تعتمد على الحواس المختلفة دون الاستعانة بالشعور الداخلى الذى لا يصلح أساساً للحكم العلمى كالترموتر أو الميكروسكوب أو أجهزة قياس الضغط وكلها وسائل مختلفة لمساعدة حواسنا كالنظر والسمع واللمس .

هذا ويجب أن نحصل نتائجنا العلمية على موافقة وتأييد المنافسين لنا فى نفس الميدان ، وذلك نتيجة لأبحاثهم الخاصة وملاحظاتهم الخاصة وإلا أصبحت نتائجنا بدون قيمة علمية .

وإذا نظرنا للعلوم وأين يقع علم الاجتماع منها وجدنا كما رأينا فى جزء آخر من هذا الكتاب أن أوجست كوت فى تصنيفه لها يميز بين علوم بسيطة وعلوم مركبة ، ويرتبها

بذلك على الوجه التالي : الرياضة - الفلك - الطبيعة - الكيمياء - الحياة - لاجتماع .  
 والبساطة والتركيب هنا لا يعينان السهولة والتعقيد ، فأحياناً يكون العلم البسيط صعباً  
 والمركب سهلاً ، وإنما المقصود بالعلم البسيط ذلك الذى لا تعتمد دراسته إلا على  
 معرفة هذا العلم بالذات أو الاكتفاء بقدر محدود من العلوم الأخرى ، ومثال ذلك الحساب  
 الذى يعتبر أبسط العلوم ، لأننا لكى نتعلمه تكفى معرفة الأرقام وكيفية صفها ،  
 ومضاعفاتها حتى إنه يمكن للشخص أن يحسب دون أن يلم بالقراءة والكتابة . ونظراً  
 لهذه البساطة أدخل الحساب ضمن مواد التعليم الابتدائى ، ويأتى الجبر بعد الحساب  
 من ناحية التعقيد ، إذ يجب لتعلمه أن تلم بالحساب وبالحروف أيضاً . ثم تأتى  
 الهندسة ، ولتعلمها يجب أن نلم بالأرقام والحروف والرسم ، وإذا انتقلنا إلى الطبيعة  
 نجد أنه لتعلمها يجب الإلمام بالحساب والجبر والهندسة ، ثم تأتى الكيمياء ولتعلمها  
 يجب الإلمام بالطبيعة . وعلى هذا الشكل يتدرج الإنسان من العلوم البسيطة إلى العلوم  
 المركبة .

وتأتى بعد العلوم التى تدرس الطبيعة العلوم التى تدرس الحياة كعلم الحيوان وعلم  
 النبات ، ثم العلوم التى تدرس الإنسان فنجدها أكثر تعقيداً ، وهى تنقسم إلى مجموعتين  
 الأولى وتدرس الإنسان كحيوان مثل علوم الطب المختلفة من تشريح ووظائف أعضاء  
 وأمراض ، وهذه تتصل بالناحية الطبيعية للإنسان . ويرجع تعقيدها إلى ضرورة  
 دراسة أخرى كثيرة قبلها ، أما المجموعة الثانية فتدرس الإنسان كإنسان ، وهنا تظهر  
 ناحية التعقيد بشكل واضح من حيث إنه يعيش فى مجتمع له نظمه وتقاليده . ومن  
 ناحية أن المجتمع قد يكون كبيراً أو صغيراً ، كما نجد أن بعض العلوم تدرس الاتصالات  
 المادية بالمجتمع والحكومة والنظم الإدارية والاقتصادية والسياسية وغيرها ، أما يتميز  
 البعض الآخر من هذه العلوم بطابعها الروحى مثل تلك التى تدرس الأديان وهى  
 أكثر تعقيداً ، ولدراسة أى من العلوم الاجتماعية يجب الإلمام بعلم أخرى كثيرة ،  
 بل إن خطر مثل هذه الدراسات الاجتماعية يتمثل فى بدئها قبل الإعداد الكافى  
 لدراسة ما قبل هذه العلوم . فدراسة الدين مثلاً يجب أن تسبقها دراسة الدنيا .

وعلى ذلك فلم يكن غريباً أن يضع أوجيست كونت علم الاجتماع على قمة العلوم  
 من ناحية التعقيد ، وذلك لأنه أكثر العلوم اتصالاً بالعلوم الأخرى وخاصة الاجتماعية منها .

وعلم الاجتماع كأي علم من العلوم الأخرى يجب أن يراعى في الدراسات المتعلقة به عدد من النواحي التي تتعلق بموقف الباحث وطرق البحث التي يتبعها وخاصة ما تعلق منها بالموضوعية والتجريب والاتجاه النظري ، وسناقش الآن كل ما يتعلق بهذه النواحي الثلاث .

## الموضوعية في علم الاجتماع Objectivity

إذا أردنا لعلم الاجتماع أن يكون علماً حقيقياً وأن يأتي بنتائج دقيقة يعتمد عليها عن الحياة الاجتماعية ، وأن يكون أساساً سليماً للاستفادة منه في هندسة المجتمع ، إذا أردنا كل هذا أصبح ضرورياً أن يكون علماً موضوعياً .

ولقد شرحنا في مكان سابق من هذا الكتاب ما نعنيه بالموضوعية ، وهو ألا نكون متحيزين في ملاحظتنا للظواهر الاجتماعية وترددها . وألا نتأثر بأية ناحية تعصبية ، دينية أو سياسية أو جنسية أو طبقية أو خلاف هذه من النواحي التي تهمننا شخصياً ، وألا نتأثر في دراستنا بعاطفتي الحب والكراهية ، وقد وصفناهما بأنهما أسوأ رفيقين عند ملاحظة الظواهر الاجتماعية .

وإنها مهمة شاقة أن نتقيد بالموضوعية في الدراسات الاجتماعية في الوقت الذي نجدها فيه مهمة سهلة في الدراسات الطبيعية كالرياضة والكيمياء والطبيعة وعلم الحيوان ، ذلك لأننا في الدراسات الاجتماعية نجد أنفسنا جزءاً من نفس الدراسة ، كما نجد أنها تهمننا شخصياً ، بينما نجد العالم الطبيعي حين يدرس الكواكب أو الذرة أو التفاعلات الكيماوية لا يكون متأثراً بحب أو كراهية كذلك التي يتأثر بها العالم الاجتماعي عند دراسته للعادات والتقاليد مثلاً ، وحين يجد نفسه يتأثر إلى حد ما بتلك التي نشأ في ظلها وأصبحت جزءاً من شخصيته .

وليس المقصود بالموضوعية هنا عدم التشويه المتعمد للحقائق فقط أو العرض المضلل لها بقصد نشر مثل أو مبادئ معينة ، وإنما نقصد أيضاً تحاشي تأثرنا عن غير عمد أثناء الدراسة ، فلا نقدر أو نحكم على المجتمعات الأخرى التي تختلف عن مجتمعنا في الزمان والمكان ، على أساس القيم والاتجاهات والعقائد السائدة في مجتمعنا ، كما يجب أن يراعى عند بحث واكتشاف الحقائق الاجتماعية وترددها ، أن نتنبه إلى حقيقة هامة ، وهي أن للمجتمعات المختلفة قيماً وعادات وتقاليد تختلف من مجتمع لآخر وأن هذا لا يجب أن يدعونا لأن نحكم عليها من وجهة النظر السائدة في مجتمعنا .

ولكن هل معنى هذا أننا نتطلب من الباحث الاجتماعي أن يجرد نفسه من مجتمعه

أو أن يفقد اهتمامه بوطنه ودينه ومثله ؟ والجواب عن هذا السؤال أن الباحث لكي يساعد وطنه أو يعضد رأيه أو يعالج المجتمع الذي يعيش فيه يجب أن يكون موضوعياً وأن يشعر دائماً أن أية سياسة اجتماعية يرجى لها النجاح يجب أن تقوم على أساس موضوعي .

ويمكن أن نوجز ما نعينه بالموضوعية في علم الاجتماع في النقط التالية :

١ - أن يكون موقفنا عند دراسة الظاهرة الاجتماعية دون شعور بحب أو كراهية أو مثل معينة ، «Sine ira et studio» ، فلا نحاول إثبات أو تعديل أو تزكية أو تحقير رأى معين أو اكتشاف الحقائق والمعارف دون أن ندخل عليها رغبة أو رأياً .

٢ - ألا يكون حكمنا عند دراستنا للمجتمعات الأخرى كما لو كانت مجتمعاتنا بقيمتها الاجتماعية وآرائنا واتجاهاتنا وهي ناحية تعصبية يطلق عليها اصطلاح Ethnocentrism فالعقلية والقيم والآراء والاتجاهات تختلف من مجتمع لآخر في الزمان والمكان ، كما أنها ليست مطلقة بل نسبية لأنها من إنتاج الحياة الاجتماعية لمجتمع معين ، هذا علاوة على أنها قابلة للتغير ، وعلى ذلك فما علينا عند الدراسة سوى الملاحظة والوصف والتفسير بحسب المكان والزمان دون أن نحكم على موضوع دراستنا من وجهة نظرنا إن كان حسناً أو سيئاً .

٣ - أن نستبعد في دراستنا الاجتماعية الكلمات العامة المألوف استعمالها والتي تتميز مع ذلك بغموضها علاوة على خضوعها لقيم معينة نجعل معناها مختلفاً من مكان لآخر ومن زمان لآخر حتى نجدها في النهاية غير صالحة كأساس للتحقيق العلمي الاجتماعي ، ولذلك أصبح ضرورياً أن نكون على حذر في استعمالها ويطلق على مثل هذه الكلمات أو الاصطلاحات Vulgar Prenotions ومن أمثلتها لفظ الديمقراطية Democracy ، وهنا يجب أن نحدد أية ديمقراطية نعني أي الديمقراطية في معسكر الدول الغربية أم معسكر الدول الشرقية ؟ لقد رأينا في الحرب العالمية الثانية الولايات المتحدة وروسيا تحاربان معاً باسم الديمقراطية ، ثم نجد الآن كلا منهما تحارب ديمقراطية الأخرى . ومن أمثلة هذه الألفاظ أيضاً الطبقات الاجتماعية Social classes أي طبقات بحسب نوع المهنة كالموظفين والعمال ، أم طبقات بحسب الوضع

المالى كالأغنياء والفقراء ، أم طبقات الخدم والأسياد ، وإلى آخر ذلك من أمثلة يضمها عموماً اصطلاح الطبقات الاجتماعية . كما يمكن أن نمثل لذلك أيضاً بكلمة ثورة Revolution ، وحيث نجد لها تفسيرات مختلفة ، أهي ثورة الإصلاح المسيحية أم الثورة الفرنسية ، أم الثورة الروسية ؟ أهي الثورة التي توصف عادة بثأها حمراء كالثورة الفرنسية أم الثورة التي توصف بأنها بيضاء كالثورة المصرية ؟ لقد كانت النازية والفاشية ثورتين ، فلما سقط هتلر ومرسوليني أصبحتا جريمتين . وهذا يرينا كيف أنه لا يوجد هناك اتفاق عام على ماهية الثورة ، وهذا يجعلنا لا نستخدم هذه الكلمة في أبحاثنا العلمية إلا بحذر وبالتحديد الزمان والمكان .

ومن أمثلة هذه الاصطلاحات أيضاً اصطلاح الاشتراكية وهو اصطلاح لا يجب أن نستخدمه إلا بتحديد لمعناها الذي نقصده في دراستنا ، فالاشتراكية اصطلاح مطاط ليس له معنى موحد تتفق عليه ، فالاشتراكيات كثيرة كالاشتراكية الماركسية والصينية والإنجليزية والمصرية وغيرها من أشكال للاشتراكية تتفق في الاسم ولكنها تختلف في التفاصيل مما يتطلب الحذر في استخدامها .

ومن ذلك نرى أن مثل هذه الاصطلاحات يصحها التعقيد وعدم الوضوح ، ولا يمكن تعريفها بالتالى في كلمة واحدة أو حتى جملة واحدة .

## التجريب في علم الاجتماع Empiricism

لكي يكون علم الاجتماع علماً بمعنى هذه الكلمة يجب أن يكون تجريبياً كالعلوم الطبيعية ، إذ بدون التجريب يصبح نوعاً من الفلسفة الاجتماعية أو فلسفة التاريخ. وهناك صلة وطيدة بين التجريب والموضوعية لأن التجريب امتداد لها ، بل إن في استطاعتنا أن نكون تجريبيين مائة في المائة في حين يصعب علينا أن نكون موضوعيين بنفس النسبة .

وأهم ما نقصده بالتجريب هو ألا نفترض مقدماً أية نتائج للظواهر الاجتماعية ، وإنما نترك الحقائق نفسها لكي تقرر Nothing a Priori فلا نقول أو نكتب عن الظواهر الاجتماعية شيئاً إلا نتيجة كشف وفحص بطرق علمية، كما لا نحاول أن نكشف نظريات عامة عن هذه الظواهر دون كشف أو إثبات عن طريق الحقائق نفسها ، وألا نقبل نظريات إلا على هذا الأساس ، وأن نتذكر دائماً ما قاله إميل دوركايم ، في هذا المعنى « يجب على عالم الاجتماع أن يشعر حين يطرق العالم الاجتماعي بأنه يلج عالماً مجهولاً ، ولا مناص له من أن يشعر بأنه يوجد وجهاً لوجه مع بعض الظواهر التي تخضع لقوانين ما كان يدور بخلفه قط أنها توجد حقيقة ، كما كان الأمر فيما يتعلق بقوانين الحياة قبل أن ينشأ العلم الذي يدرسها » (١) .

وما الفرق بين المذهب التجريبي والمذهب العقلي Rationalism سوى أن الأول يعتمد على الحقائق بينما يعتمد الثاني على العقل . ولقد كانت الفلسفة دائماً مجالاً للصراع بين المذهبين ، فكان المذهب العقلي يعتمد على العقل في اكتشاف المعارف الجديدة بينما كان المذهب التجريبي يعتمد على المعرفة عن طريق التجربة وليس عن طريق العقل . ولقد تخلصت العلوم الطبيعية في العصور الحديثة من المذهب العقلي كلية ، ويجب أن نصل بعلم الاجتماع إلى هذه المرحلة ، فيكون كل اكتشاف معتمداً على طريقة علمية صحيحة حتى إن كل تكرار للتجربة يأتي بنفس النتيجة .

(١) إميل دوركايم . قواعد المنهج في علم الاجتماع . ترجمة الدكتور محمود قاسم ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ١١ .

ولدينا الآن كثير من النظريات الخاصة بالحياة الاجتماعية ، إلا أنها في مجموعها لا تعتمد على الحقائق ولا يمكن أن تقبلها نهائياً إلا إذا اعتمدت على ذلك ، وموقفنا منها إذن هو عدم الإيمان بها إلا إذا أمكن إثباتها نتيجة للحقائق نفسها . ومعلوم طبعاً أن كل العلوم بدأت بهذه المرحلة الفلسفية ثم انتهت تدريجياً إلى مرحلة البحث العلمي الصحيح ، ولا يشذ علم الاجتماع عن بقية العلوم وإن كانت مهمة انتقاله من المرحلة الفلسفية إلى المرحلة العلمية أشق بكثير منها عند العلوم الطبيعية للأسباب الآتية :

١ - أن الحقيقة الاجتماعية أكثر الحقائق تعقيداً وصعوبة عند معالجتها بالطرق العلمية لأنها تدعو أكثر من غيرها إلى الاتجاه الشخصي ، كما أن تردد الظواهر في الحياة الاجتماعية ليس من السهل كشفه كما هو الحال في الحياة الطبيعية ، حيث يمكن مثلاً اكتشاف تردد الظواهر الفلكية والكيميائية وحتى النفسية الفردية بسهولة .

٢ - عند التحقيق العلمي في الظواهر الاجتماعية نجد أن تعدد الأسباب Plurality of causes مسئول عن تكوين الظاهرة ، كما نجد الاعتماد الوظيفي للظواهر بعضها على بعض هو السائد مما يجعل من الصعب أن نصل إلى قوانين ثابتة كما هو الحال في الظواهر الطبيعية ، وعلى ذلك فنحن نكتفي في دراساتها الاجتماعية حتى الآن بالاحتمالات القوية أو الضعيفة بدلا من القوانين الثابتة .

٣ - ارتباط الظواهر الاجتماعية بالمكان والزمان ، وهذا يعني أن ضرورة حدوث التردد مقيد بزمان ومكان معينين ، في حين نجد الأمر عكس ذلك في العلوم الطبيعية ، وحيث لا تتقيد الظواهر أو تتردد بالزمان والمكان ، فالماء يغلي في درجة حرارة معينة في كل زمان ومكان ، وكذلك الحال في ظواهر تتعلق بالجاذبية والكثافة والأجسام الطافية وخلافها . ولهذا السبب نجد أن كل الجهود التي بذلت في علم الاجتماع للوصول إلى قوانين مجردة مثل تلك التي تنهى بها الدراسات الطبيعية ، تنهى عادة حتى الآن بعقم عالمي .

ويمكن أن نلخص الأخطاء التي تقع فيها الفلسفة الاجتماعية فيما يلي :

١ - التخمين Speculation وذلك حين تعتمد في بحوثها على الأقوال الشائعة أو على بيانات تاريخية معينة تعتبرها أساساً لعدد من قوانين الحياة الاجتماعية التي تتميز بالصحة

والعمومية General validity في الوقت الذي نجدها فيه وقد تأثرت تماماً بوجهة نظر شخصية للعالم الذي وضعها . وقد يكون ذلك العالم موهوباً إلا أنه يكون عادة متأثراً بناحية شخصية ، حتى إننا نجد أن كل فيلسوف اجتماعي يحاول أن يكون مجدداً أو فريداً في اكتشافه لدرجة أصبح علم الاجتماع معها معرضاً ازدهم بالنظريات المختلفة التي يناقض كل منها الأخرى، يؤمن بعضها بالتطور والبعض بالتغير الدائري للمجتمعات الإنسانية ، يؤمن بعضها بتطور المجتمعات تطوراً إلى الأحسن والبعض يؤمن بتدهورها، هذا علاوة على النظريات المتشائمة والنظريات المتفائلة . وبذلك أصبح شائعاً بناء كثير من النظريات المختلفة التي تتميز بالطابع الفلسفي وتعتمد على تاريخ الإنسان أو الحياة الاجتماعية عامة من وجهات نظر شخصية مختلفة نتج عنها اختلاف النظريات باختلاف الفلاسفة أنفسهم . وهذا الوضع ما كان يحدث لو أن أبحاثهم أو نظرياتهم قامت على أساس موضوعي تجريبي يعتمد على الحقائق بطرق تجريبية لا مجال فيها للناحية الشخصية كما هو الحال في علوم الفلك والطبيعة والحياة . ونتيجة لهذه الفلسفات الاجتماعية العديدة لم يعد علم الاجتماع في حاجة إلى مزيد من هذه النظريات البراقة ، وإنما إلى كشف علمية يمكن إثباتها وإعادة فحصها .

ويمكن أن تمثل لبعض هذه النظريات الفلسفية بالأمثلة التالية :

- ( ١ ) قانون الثلاث حالات لأوجيست كونت والذي يرى فيه أن الإنسانية تجتاز ثلاث مراحل هي المرحلة الإلهية ومرحلة البحث عن العلة ثم المرحلة الوضعية ، وقد رأى كونت أننا إذا أردنا إصلاح المجتمع كان لا بد أن ندفعه ليمر خلال هذا الطريق الطبيعي .
- ( ب ) نظرية دوركايم في تطور المجتمعات خلال مرحلتين تتميز الأولى بالتضامن الميكانيكي والثانية بالتضامن العضوي ، وحيث يرى أن الانتقال من المرحلة الأولى إلى الثانية يأتي نتيجة تكاثر السكان وتقسيم العمل بينهم لكي يتمكنوا من المعيشة معاً .
- ( > ) نظرية جيدنجز في تطور النوع الإنساني خلال مراحل ثلاث أطلق عليها بالترتيب :

The Demogenic ، The Ethnogenic ، The Anthropogenic

وقد رأى في هذه النظرية أن الجماعات البدائية تعيش في المرحلتين الأولى والثانية ،

كما يرى أن الحياة الاجتماعية تبدأ في المرحلة الثالثة وتنقسم بدورها إلى ثلاث مراحل فرعية ، مرحلة عسكرية دينية ومرحلة الحرية والقانون والمرحلة الاقتصادية الحقيقية ، ولا بد لكل مجتمع من أن يمر خلال هذه المراحل الثلاث ، وقد مثل جيدنجز بثمانية مجتمعات للمرحلة الأولى ومنها مصر القديمة وبابل والصين والهند ، ومثل بثلاثة مجتمعات للمرحلة الثانية ، هي الدولة اليونانية القديمة والإمبراطورية الرومانية والحضارة الغربية ابتداء من عهد النهضة ، أما المرحلة الثالثة فليس لها سوى مثال واحد هو الحضارة الغربية الحاضرة وحيث يسودها التقدم الاقتصادي .

( د ) نظرية تونيز عن المجتمع والمجتمع المحلي والتي رأى فيها أن تغير المجتمع المحلي وتطوره نحو المجتمع يعتبر تدهوراً للحياة الاجتماعية .

( هـ ) نظرية فيلفرد باريتو Pareto الدائرية في التغير الاجتماعي ، ويرى فيها أنه لا يوجد سوى نوعين من الحكومات تكون السيادة في النوع الأول لمن أطلق عليهم المضاربين Speculators وتكون السيادة في النوع الثاني لمن سماهم المتحفظين Rentiers ويمثلون الفئة التي لا تحب التغير . ويتأثر النوع الأول من الحكومات بأعضائها المغامرین المغرمين بالتجديد (تقدميون) وذلك بعكس أعضاء النوع الثاني (محافظون) . والنوعان ليسا اقتصاديين كما يفهم من التسمية بل اجتماعيين . ويفترض باريتو في النوع الأول أن الصفوة فيه Elite مفتوحة تقبل الجدد بينما يفترض أنها مقفنة ، في النوع الثاني ، أي أن حكومة المضاربين تقبل أفراداً من الطبقة الدنيا مع ما يتبع ذلك من احتفاء للطبقات العليا بالتدرج وحلول الطبقات الدنيا مكانها لأن الطبقات العليا لا تنجب ما فيه الكفاية . وبذلك يصح النظام المضارب مجالاً لأحزاب كثيرة مختلفة تدعو في النهاية إلى سقوط النظام وتنهي الديمقراطية تبعاً لذلك بانتهاج النظام المضارب ليحل محله النظام المحافظ .

هذه أمثلة محدودة لهذا النوع من الفلسفة الاجتماعية والنظريات التي قامت حولها ، ونقول محدودة لأن أعدادها قد بلغت المئات .

٢ - التبسيط الزائد في تفسير الظواهر الاجتماعية Oversimplification وهذا خطأ آخر تقع فيه الفلسفة الاجتماعية ، وذلك عندما يحاول الفلاسفة الاجتماعيون

تفسير ظاهرة اجتماعية معقدة جداً عن طريق قانون أو مبدأ واحد بسيط ، كما هو الحال عند من يرون أن العامل الأساسى فى الحياة الاجتماعية هو البيئة الجغرافية ، أو غيرهم ممن يرون أن هذا العامل يتمثل فى الجنس أو فى الوضع الاقتصادى وخلاف ذلك من عوامل، حتى لقد أصبحت النظريات الفلسفية الاجتماعية هو مما يمكن وصفه بأنها<sup>(١)</sup> The bed of Procrustes لأن الحقائق كثيراً ما تختارلكى تلائم نظرية معينة ، وهو اتجاه يؤدي إلى تجاهل الحقائق ، كما أنها فى الوقت نفسه علامة على عدم النضج العلمى .

٣ - تحاول الفلسفة الاجتماعية أن تعرف «معنى التاريخ» ، وهى تتساءل دائماً أين يذهب التاريخ وما الغرض من تطور النوع الإنسانى وما الهدف الذى يسعى إليه الإنسان ويحاول بعض فلاسفة التاريخ فى بعض الأحيان إظهار ما ستكون عليه الدولة المثالية للإنسان التى لا بد أن يصل إليها فى النهاية ، كما فعل كل من هيجل وكانت وماركس ولقد كانت بعض هذه المحاولات سبباً فى تركية مثل معينة أو نواح دينية أو خلقية أو سياسية بذاتها ، وكلها محاولات شخصية لا تعبر إلا عن اتجاه معين لفرد أو أمة أو دولة أو جماعة ، ومن الواضح أن أية محاولة للبحث عن معنى التاريخ وغرضه وهدفه لا بد أن تكون موضوعية وتجريبية ، هذا ما لم يحدث فى كل الدراسات التى لها صلة بفلسفة التاريخ والتى استعرضنا طرفاً منها فى الباب الثانى من هذا الكتاب .

(١) Procrustes ، شخصية أسطورية يونانية للس كان يلائم بين ضحاياه وبين سريره بشدهم

أو بتقصيرهم عن طريق قطع أجزاء منهم .

## الاجتماع علم نظرى Theoretical

ونعنى بنظري هنا أن علم الاجتماع في دراسته للظواهر الاجتماعية إنما يهدف إلى المعرفة فحسب ، فهو يقوم باكتشاف الحقائق وانتظام حدوث الظواهر في الحياة الاجتماعية دون أى اعتبار لاستخدام هذه المعارف أو التطبيق العملي لهذه الاكتشافات . لأن هذا التطبيق من اختصاص علوم أخرى يطلق عليها العلوم الاجتماعية التطبيقية Social Applied Sciences ، تلك العلوم التي تتميز عادة باتباعها لسياسات معينة مختلفة تتعلق بالخدمات الاجتماعية والترفيه والتشريع والسياسة وإلى آخر ذلك من مجالات تطبيقية تقوم عادة باستخدام ما يكتشفه علم الاجتماع .

ولكى نفرق بين العلوم النظرية والعلوم التطبيقية نجد أن العلوم النظرية تبحث عموماً في «ماذا عن؟» بينما تبحث العلوم التطبيقية في «كيف نفعل؟» ، ومهمة الأولى اكتشاف القوانين وانتظام حدوثها وترددتها ، بينما نجد أن مهمة الثانية هي استخدام هذه القوانين في بعض الأغراض العملية ، وعلى ذلك فلا يجب الخلط بين وجهتي نظرها ، ذلك لأن الخلط بينهما يؤدي إلى تشويه الحقائق العلمية لأنه يدخل على العلوم النظرية بعض العناصر الشخصية .

وهناك بعض الآراء التي تقول بأن واجب علم الاجتماع هو دراسة الحقائق والمشاكل التي تهم المجتمع لكي يمكن الاستفادة بهذه الدراسات لأغراض تطبيقية ، ولقد أصبح هذا الاتجاه العلمي نحو تطبيقات العلوم لخدمة المجتمع أمراً ضرورياً متفقاً عليه بين العلماء في كل بلاد العالم وخاصة في إنجلترا والولايات المتحدة ، ويتفق معهم في هذا الرأي الأستاذ الدكتور على أحمد عيسى وذلك حين يرى ضرورة تشجيع هذا الاتجاه نحو علم الاجتماع التطبيقي في مصر أيضاً ، ولكن على الرغم من كل هذا يجب أن تدرس هذه المشاكل بالدقة التي يتطلبها البحث العلمي ، أما كيف

(١) Aly A. Issa, (Applied Sociology) in the Bulletin of the Faculty of Art, Alexandria

تحل هذه المشاكل فهذا مما يتعلق بالهندسة الاجتماعية Social Engineering وهذه رجالها المتخصصون ، أما الباحث في علم الاجتماع فهدفه الأول هو مساندة الاتجاه النظرى أو النظرية في علم الاجتماع وهذا لا يتعارض مع إمكان الاستفادة مما يكتشفه في خدمة المجتمع مستقبلا .

## قابلية الظواهر الاجتماعية للملاحظة

يبحث علم الاجتماع في الحالات العقلية للإنسان وتصرفه وإنتاجه من ناحية ما يتعلق بكل هذه النواحي من صفات شائعة ومدى انتظام حدوثها وترددتها ، والمقصود بالصفات الشائعة ناحية الثبات أى حالة المجتمع كشيء ثابت كما تقصد من مدى انتظام الظهور والتردد الناحية الديناميكية أى التغير الاجتماعى ، وعلى هذا الأساس ينحصر موضوع علم الاجتماع فى دراسة المجتمع فى حالته ثباته وتحركه .

وعند دراستنا للظواهر الاجتماعية كالأمم والدول والطوائف الدينية والمناطق لثقافية ، لا تكون دراستنا لها كأشياء لها وجود واقعى ملموس كجسم إنسان أو حيوان ، وإنما ندرسها كأشياء متشابهة ومنتظمة فى ظهورها فى تفكير الأفراد وتصرفهم وإنتاجهم ، لأن الظاهرة الاجتماعية تتميز بطبيعتها بأنها جمعية ، وهذا يعنى أنها لا يمكن أن تكون وحدة أو جسماً ، وفى كونها جمعية ما يفيد بأنها لا تلاحظ إلا على مجموعة كبيرة من الحالات الفردية ، كما أنها تلاحظ فى حالة تشابهها وانتظام حدوثها بين هذه الحالات الفردية . وعلى هذا الشكل فقط يصبح من المحتمل دراسة الظاهرة الاجتماعية علمياً ، كما يفهم من ذلك أيضاً أن الفرد فى حد ذاته ليس هو مركز اهتمامنا كفرد واحد لأننا فى علم الاجتماع لا نهتم بتكبيبه الجثمانى أو العقلى ، وإنما نبحث عن الفرد كعضو فى مجموعة كبيرة من الأفراد تحمل حقائق اجتماعية معينة ، حقائق تظهر نفسها على الفرد الإنسانى كحالة عقلية أو تصرف أو إنتاج ، كما أن هذه الحقائق الاجتماعية قابلة للملاحظة بحسب انتشارها وانتظام حدوثها بين عدد كبير من الأفراد ، أما انتظام حدوثها لفرد واحد فلا دخل له بعلم الاجتماع . ويمكن أن تمثل للحالات العقلية أو التفكير الجمعى بالشعور بالانتماء إلى جماعة معينة أو الرأى العام ، كما يمكن أن تمثل للتصرف الجمعى بعمليات الانتخاب وعادات التحية والإضراب والمظاهرات ، أما الإنتاج فنمثل له بدستور الدولة وقوانينها والكتب والمصانع والطائرات والسيارات والصور .

وإذن فالظواهر الاجتماعية لا يمكن أن نرجعها إلى وجود محدود كأجسام حتى

ما تعلق منها بالظواهر الإنتاجية ، فسيارة معينة لا تصيح في حد ذاتها ظاهرة اجتماعية وإنما هي كذلك بحكم انتشارها فقط ، والتصور المشترك عنها في ذهن الأفراد واتفاقهم المشترك عن كل ما يتعلق بها فإذا انعدم ذلك ما أصبح الإنتاج ظاهرة اجتماعية في مجتمع معين بينما يكون كذلك في مجتمع آخر، كل هذا يبعد بها عن أن تكون جسماً معيناً ملموساً لأن الجسم المعين الملموس ليس هو الظاهرة الاجتماعية . ومن أخطاء علماء الاجتماع الأول تشبيههم المجتمع بجسم عضوي ، هذا الاتجاه الذي كان يرجع الظواهر الاجتماعية وخاصة الجماعات إلى حقيقة خاصة لها صلة بجسم الإنسان ، وبذلك كانت الأسرة والجمهرة والطبقة والأمة والدولة في نظر هؤلاء العلماء كيان مستقل Entity أو أشياء لها طبيعة عضوية . ومن وجهة النظر هذه يصبح من المستحيل دراستها علمياً لأن الظواهر الاجتماعية ليست أشياء من هذا النوع ، ليست وحدات مستقلة أو أجسام بل على العكس من ذلك نجد أنها جمعية كما أنها عبارة عن تشابه أو انتظام في التفكير والسلوك والإنتاج .

ولكن على الرغم من كل ذلك يجب أن نؤكد هنا بأن الظاهرة الاجتماعية موجودة فعلاً وأنها حقائق من نوع خاص Sui generis ، بل إنه من المستحيل أن نفهم الظواهر الاجتماعية وأن نفسرها دون أن نفترض أنها حتمية معينة وأنها موجودة فعلاً .

ومن ناحية أخرى أرى أنه من الضروري أن نقر بأن التشابه وانتظام الحدوث والظهور في التفكير والسلوك والإنتاج للأفراد لا يمكن أن نعتبره شيئاً ثابتاً لا يتغير بين هؤلاء الأفراد ، فن طبيعة الظواهر الاجتماعية ظهورها بصور مختلفة من فرد لآخر أو من جماعة لأخرى ، وأنها تتبع نظاماً تدريجياً يمكن قياسه ، فالشعور الوطني مثلا نجده متدرجاً في مجتمع ما من التعصب المتطرف إلى عدم المبالاة تماماً ، وعمل علم الاجتماع هو الكشف عن الاتجاهات والتشابه بين أنواع الاختلافات بين الأفراد بسيطة كانت أو كبيرة ، بل لقد نشأ فرع من فروع علم الاجتماع تخصص في دراسة هذه الاتجاهات وقياسها بكثير من الوسائل تنمو وثبت بقاءها يوماً بعد يوم .

وثمة ناحية أخرى هي أن الأساس في تفسير الحقائق الاجتماعية ، يجب أن يكون الحقائق الاجتماعية نفسها . وعلى الرغم أن الحياة الاجتماعية تتأثر أيضاً بالعوامل الطبيعية الجغرافية والحبوية والنفسية إلا أنه لا يمكن مطلقاً أن تفسر الظواهر الاجتماعية بقوانين

الطبيعة والحياة والنفس فمثل هذه القوانين قد تتوافر في مكان معين وزمان معين ولكنها مع ذلك تكون قاصرة عن نشأة ظواهر اجتماعية معينة نجدتها في مكان آخر أو زمان آخر ، وإذن فهي بذلك ليست المسئولة عن قيام مثل هذه الظواهر ، ولا بد والحالة كذلك أن تكون هناك نواح أخرى غيرها غير طبيعية قد ساعدت على قيام ظواهر اجتماعية معينة . وإذن فالحضارة والتغير الاجتماعي لا يمكن إلا أن تفسر أولاً بالظواهر الاجتماعية .

وإذن فالحقيقة الاجتماعية هي أكثر الحقائق تعقيداً لأنها تزيد في ذلك على الحقائق الطبيعية والنفسية ، ولما كنا لا نستطيع استخدام الطرق التجريبية التقليدية للعلوم الطبيعية في علم الاجتماع ، تلك الطرق التي تتمثل في المعامل وأنابيب الاختبار والأجهزة العلمية المختلفة ، أصبح لعلم الاجتماع طرقه التجريبية الخاصة به والتي تضع في اعتبارها دائماً مبدأ تعدد الأسباب الذي هو أساس تفسير أية ظاهرة اجتماعية . ولما كنا مقتنعين بأنه لا يمكن أن نستبعد كل الظواهر لنُدع ظاهرة واحدة تعمل بنفسها كما هو الحال في الطرق التجريبية التقليدية ، ونظراً لأننا لا نستطيع أن ندخل في الاعتبار كل الأسباب التي تؤثر في الظاهرة الاجتماعية ، كان علينا في علم الاجتماع أن نقنع لا بالقوانين الثابتة بل بالاحتمالات أو مدى توقع الظهور ، ففي التنبؤ بمظاهر اجتماعية معينة لا نستطيع إلا أن نقول بأن هناك احتمالاً أكثر من آخر أو بتحديد نسبة مئوية معينة لاحتمال معين ونسبة أخرى لاحتمال آخر ، وذلك على الأقل خلال المرحلة التي يمتازها علم الاجتماع في الوقت الحاضر الذي يحاول فيها أن يثبت بقاءه كعلم بين العلوم .

## الفصل الثاني

### مناهج البحث في علم الاجتماع

- مقدمة
- المسح الاجتماعي
- البحث الاجتماعي
- المنهج التاريخي
- منهج بحث الحالة
- المنهج التجريبي

obeikandi.com

## الفصل الثاني

# مناهج البحث في علم الاجتماع

### مقدمة :

يعتبر اصطلاح منهج من الاصطلاحات التي لم يتفق بعد على تحديد مفهومها وعلى ذلك فلا يعتبر غريباً أن نجد لها تعاريف تختلف باختلاف من يكتبون في هذا الموضوع ، بل إن اصطلاح منهج كثيراً ما يتميز بعدم الوضوح في ذهن كثير من الطلاب الذين يخلطون عادة بين مجموعة من التعاريف أو التفسيرات المختلفة ، وبنوع خاص ما يعرف به المنهج في كثير من الأحوال أو على السنة كثير من الباحثين بأنه الأسلوب المستخدم في الدراسة فإذا ما سألت عما يعنيه الأسلوب ما وجدت إجابة واضحة أو مقنعة .

وأرى أن اصطلاح منهج يتضمن معنيين أساسيين : أحدهما المنهج بمعناه الواسع والثاني المنهج بمعناه الضيق ، أما منهج البحث أو مناهج البحث بمعناها الواسع فتشمل كل ما يتعلق بعملية الدراسة العلمية في علم الاجتماع من نواح مختلفة يدخل ضمنها المنهج بمعناه الضيق كما سنوضحه بعد ، أي أن المنهج بمعناه الواسع يشمل كل النواحي المتعلقة بالدراسة ، مثل الطرق المختلفة للحصول على البيانات كاستخدام الملاحظة أو المقابلة الشخصية أو المقابلة البريدية وخلافها ، ومثل الطرق المختلفة لاختيار العينة المستخدمة في الدراسة وطرق اختيار وحداتها ، والنواحي الأخرى التي قد يستخدمها الباحث في دراسته كالتاحية الإحصائية أو استخدام المقارنة والحدود والرسوم البيانية والخرائط والصور وإلى آخر ذلك من نواح قد يُلجأ إليها الباحث إلى استخدامها في دراسته لتحقيق بعض أهدافه من هذه الدراسة ، ولكون هذه النواحي كثيرة ومتعددة أقول إنها مما يتضمنه اصطلاح منهج بمعناه الواسع .

أما فيما يتعلق باصطلاح المنهج بمعناه الضيق فالمفروض في الدراسات التي يقوم بها علم الاجتماع أنها لا بد أن تقوم على أساس دراسة مجموعة من الأشخاص

تعيش في مجتمع معين ضمن حدود مكانية معينة وفي مرحلة زمنية معينة ، وأرى أن موقف الباحث من هؤلاء الأشخاص الذين يتضمنهم مجال بحثه وتحديدته أو الإجابة على تساؤل « على من منهم ستقوم الدراسة ؟ » هو الذي يحدد ما يعنيه المنهج بمعناه الضيق ، فقد يرى الباحث أن تتضمن دراسة كل الأشخاص الذين يدخلون في مجال بحثه ، ولا نعني بقولنا كل الأشخاص أننا لا بد أن ندرس بالضرورة المجموع كله ، قد يحدث هذا ، وقد نكتفي بدراسة كل الأفراد عن طريق دراسة عينة منهم وكلمة عينة تعني أنها لا بد أن تكون ممثلة للمجموع وهي تعني بذلك أننا نفترض جوازاً أننا قد درسنا المجموع عن طريق دراسة العينة وهو ما يحدث في العادة في دراستنا للمجتمعات المختلفة . أقول إن الباحث إذا اختار أن يكون موقفه كذلك من الأشخاص الذين يتضمنهم مجال بحثه يكون قد استخدم منهج « المسح الاجتماعي » أو منهج « البحث الاجتماعي » وسوضح فيما بعد طريقة التمييز بين المنهجين والفرق بينهما .

وقد يحدد الباحث موقفه من الأشخاص الذين يتضمنهم مجال بحثه عن طريق اختيار عينتين من هؤلاء الأشخاص تقوم على أساسهما الدراسة وذلك باعتبار أن العينتين متفتتان في كل المتغيرات فيما عدا متغير واحد يتوفر في إحداها ولا يتوفر في الثانية وهدف الباحث في هذه الحالة هو الكشف عن أثر هذا المتغير الذي لا يتوفر إلا في إحدى العينتين على الظاهرة التي يدرسها ، وموقف الباحث من الأشخاص الذين تقع عليهم الدراسة في هذه الحالة يختلف عن موقفه في الحالة الأولى عندما قلنا إنه يستخدم منهج المسح الاجتماعي أو منهج البحث الاجتماعي ، وعلى ذلك نقول إن الباحث في الحالة الثانية إنما يستخدم في دراسته المنهج التجريبي .

وقد يقوم الباحث بدراسة يختلف فيها موقفه من الأشخاص عن الموقفين السابقين وذلك حينما نجده يكتب في دراسة وحدات معينة مجموعة العدد يختارها من المجموع حسب أسس معينة وعلى أساس أن يدرس هذه الوحدات دراسة شاملة ومتعمقة تتطلبها طبيعة الدراسة أو بعض المقتضيات الأخرى ، وفي هذه الحالة نجد أن موقفه من الأشخاص الذين يتضمنهم مجال دراسة يختلف عن ذلك الذي اتخذته في المنهجين السابقين ونقول في هذه الحالة إنه قد لجأ إلى استخدام منهج دراسة الحالة كما سنوضحه بالتفصيل فيما بعد .

وقد يتطلب البحث دراسة أشخاص لا وجود لهم وقت القيام ببحثه لأنهم كانوا يعيشون في الماضي أو في فترة تاريخية تسبق تلك التي يقوم البحث في ظلها ، وهو موقف جديد من الأشخاص الذين يتضمنهم مجال البحث، وإذن فهو سيقوم بدراستهم بطريقة غير مباشرة يلجأ فيها إلى ما كتب عنهم أو ما يمكن الحصول عليه من كبار السن الذين عاصروهم وإلى غيرها من الوسائل ، ودراسة هؤلاء الأشخاص غير الموجودين في الحاضر تتطلب منهجاً من نوع آخر هو ما يطلق عليه « المنهج التاريخي » .

وهكذا نكون قد حددنا ما يعنيه اصطلاح منهج بالمعنى الضيق، وعلى هذا أيضاً يدخل اصطلاح المنهج بهذا المعنى ضمن ما يتضمنه اصطلاح المنهج بمعناه الواسع .

ولعله واضح أن الباحث في دراسة قد يلجأ إلى أكثر من منهج واحد من هذه المناهج الخمسة التي استعرضناها ، لأن طبيعة الدراسة قد تتطلب ذلك وهذا الأمر هو غالباً ما يحدث في دراسات علم الاجتماع .

وقد نسمع بين حين وآخر من يقول إنه قد استخدم في دراسته « المنهج الإحصائي » أو « المنهج المقارن » أو غيرها من الأسماء الأخرى في الوقت الذي أرى فيه أن استخدام الإحصاء أو المقارنة لا يحدد منهجاً في ذاته وإنما يمكن القول فقط أن استخدام أي منهما إنما يمثل إحدى الطرق العديدة التي يستخدمها الباحث للحصول على البيانات ففي علم الاجتماع نلجأ إلى الإحصاء كوسيلة للحصول على بيانات جديدة بتعدر الحصول عليها دون استخدام الطرق الإحصائية ، وكذلك الحال فيما يتعلق باستخدام المقارنة أو الدراسات المقارنة وحيث لا تشكل في حد ذاتها منهجاً وإنما وسيلة للحصول على معلومات جديدة أو بيانات جديدة توصلنا المقارنة إليها ، وهذا يدفعنا إلى استبعاد هذين الاصطلاحين عن مفهوم المنهج بمعناه الضيق وإدخالها ضمن مفهوم طرق الحصول على البيانات .

## منهج المسح الاجتماعي

تعتبر فكرة المسح الاجتماعي من أقدم الأفكار التي طرأت على ذهن الإنسان ، فإ كتابات هيرودوت التي كتبها في القرن الخامس قبل الميلاد عن ملوك مصر وما كتبه عن سكان مصر وعلاقتهم بالأرض وصفاتهم وعاداتهم وعقائدهم الدينية وحروبهم وثوراتهم ومشاكلهم والتفسيرات التي حاول أن يخرج بها من كل ذلك سوى صورة بدائية من صور المسح الاجتماعي .

أما المسح الاجتماعي بمعناه الحديث فلم يظهر إلا في منتصف القرن الثامن عشر على يد عدد من المصلحين الاجتماعيين في إنجلترا وفرنسا والذين اتخذوا هذا المسح أساساً للإصلاح في مجتمعاتهم . وسنتعرض في الصفحات المقبلة عدداً من هؤلاء السابقين في المسح الاجتماعي .

جون هوارد John Howard ( ١٧٢٦ - ١٧٩٠ ) :

يعتبر هوارد أول من حاول جمع بيانات بطريقة موضوعية منظمة ، وأول من استخدم عدداً متنوعاً من الوسائل الميدانية في البحث ، وذلك حينما فكر في إصلاح السجون والمسجونين في إنجلترا . وقد قامت دراسته على أساس جمع الحقائق والأرقام من السجون والمسجونين مباشرة ، فأحصى عدد السجون ودون أسماء المسجونين وأماكن السجون التي يوجدون بها وتاريخ سجنهم وعدد السجناء ومساعديهم ، وكانوا لا يتقاضون أجراً على عملهم اكتفاء بما يحصلون عليه من رسوم من المسجونين ، كما سجل المدد التي قضاه المسجونون في سجونهم وعدد المسجونين الذين برئوا ثم عجزوا عن ترك السجن لعدم مقدرتهم على دفع ما عليهم من رسوم للإفراج عنهم ، كما أحصى هؤلاء الذين كانوا يعانون من سوء النواحي الصحية وسوء التهوية والفيروس والحشرات ، كما حصل على إحصاء بعدد الرزانات التي كانت تحت الأرض وعدد المسجونين الذين تأثروا بها ، وكان جون هوارد يقابل المسجونين بنفسه ويسجل شكواهم المختلفة .

وعندما ظهر هوارد في سنة ١٧٧٤ أمام إحدى لجان مجلس العموم يقدم إليها

النتائج التي انتهى إليها حصل على تأييدها الكامل حتى لقد صدر في الحال تقريباً قانون بالإفراج عن المسجونين الذين كانت قد انتهت مدة سجنهم أو الذين كانوا قد برئوا ، كما صدر قرار بتحديد مرتبات للسجنائين وبالتفتيش عليها والاهتمام بالمسجونين صحياً .

وفي سنة ١٧٧٥ قام هوارد بما يمكن أن يسمى بالدراسة المقارنة لأحوال السجون في عدد من البلاد الأوروبية ، وقد اهتم في دراسته بنوع خاص بتأهيل المسجونين اجتماعياً وتوجيههم دينياً وتعليمهم عدد من الصناعات . وقد ظهرت هذه الدراسة في سنة ١٧٧٧ بعنوان :

The State of The Prisons in England and Wales, with Preliminary Observation, and an account of some Foreign Prisons.

وكانت الطرق التي استخدمها هوارد في بحوثه ذات أثر عميق ليس على أتباعه فحسب ، بل على كل الدراسات التي قامت بنوع خاص على السجون ، وقد اقتنع تماماً بضرورة الحصول على البيانات من مصدرها مباشرة ، وقد توفى أثناء دراسته لحالة السجون في روسيا .

فردريك لوبلي Frederic Le Play ( ١٨٠٦ - ١٨٨٢ ) :

أحد المصلحين الاجتماعيين الفرنسيين . وقد بدأ حياته كأستاذ لعلم المعادن في فرنسا وكانت لديه بذلك الفرص الكثيرة لمصاحبة مهندسي التعدين في كثير من البلاد الأوروبية والآسيوية ، وقد بدأ في سنة ١٨٢٩ بدراسة التقدم الفني والانتعاش الاقتصادي ووضع العمال في أوروبا ونجح في التوفيق بين التدريس وهندسة المناجم والبحث ، وهذه الخبرات المتنوعة مكنته من الحصول على معلومات كثيرة أفادته في بحوثه كما مكنته من عمل الاتصالات لتنفيذ إصلاحاته فيما بعد .

وفي منتصف القرن التاسع عشر قام لوبلي بنوع جديد من الدراسات الاجتماعية وذلك حينما اختار الأسرة كوحدة لدراسة آثار التصنيع على مجتمعات العمال في فرنسا أولاً ثم في البلاد الأوروبية الأخرى فيما بعد . وكان اختياره للأسرة كوحدة لدراسته أنها أبسط الوحدات الاجتماعية وأعما انتشاراً ، كما اختار ميزانية الأسرة مادة للتحليل نظراً لدلالاتها الواضحة من حيث الأسرة ووظائفها .

ولقد اقتنع لوبلى أن تنظيم ووظائف أية أسرة تتأثر بعوامل كثيرة فشلا من أهم وظائف الأسرة الحصول على وسائل معيشة أفرادها ، وإذن يتحدد التنظيم في داخلها تبعاً لطرق الحصول على وسائل المعيشة ( العمل ) ، إلا أن هذه الطرق في الوقت نفسه تحدها البيئة التي تعيش فيها الأسرة ( المكان ) ، ذلك لأن صفات البيئة تحدد العمل الذي تحصل الأسرة عن طريقه على وسائل معيشتها . وعلى هذا الأساس حدد لوبلى طريقته في الدراسة والتي تنحصر في ثلاثة أسس هي : المكان والعمل والأسرة ، وعلى ذلك فالوحدة الاجتماعية وهي الأسرة ترتبط بالبيئة الجغرافية والعمل .

ولم تقتصر دراسة لوبلى على العمال في قطر واحد ، وإنما في عدد من الأقطار الأوروبية بقصد الوصول إلى حقائق عامة عن الأسرة كأساس لتعميمات علمية كأن يكتشف الظروف الاجتماعية التي تعمل أولاً على الاستقرار الاجتماعي والانتعاش الاقتصادي في دولة معينة .

ولما كانت هذه الدراسات التفصيلية لدولة بأكلها تعتبر عملاً شاقاً جداً ، فقد اتجه لوبلى إلى اختيار عدد معين من الأسر كوحدات أساسية تكون مجالاً لدراسته وقد عمل على أن يكون اختياره لهذه الأسر بطريقة تكون ممثلة وصالحة للمقارنة والتحليل ثم التعميم في النهاية .

ولقد اقتصر لوبلى على أسر العمال لأنه كان يعتقد أن العمال يشكلون أغلبية الأمة ويكونون العناصر الممثلة للسكان ، كما أنهم كطبقة لهم بحكم حياتهم وعملهم أهميتهم في إنتاج الدولة التي ينتمون إليها عن أية جماعة أخرى ، هذا علاوة على أن العلاقات التي تربط العمال بالطبقة العليا هي في المجتمع في كل مكان أساس وجود هذه الطبقة .

أما من ناحية اهتمام لوبلى بدراسة ميزانية الأسرة فيرجع إلى اعتقاده بأن كل ما يتعلق بتصرفات أسرة العامل يعود إلى الدخل . وعلى ذلك فقد اهتم بمصادر هذا الدخل ، وأوجه صرفه وصلة ذلك بمجموع هذا الدخل . كما افترض أن هناك صلة قاطعة ليس فقط بين عادات الاستهلاك والنشاط الاجتماعي بل بين السياسة الاجتماعية للدولة أيضاً فإذا ما سادت عادات التبذير والإنفاق على غير الضروريات أثناء فترات الرخاء كان لذلك رد فعل سيء على العمال ، وهذا يتبعه بالضرورة تخطيط سياسات اجتماعية جديدة .

وكان لوبلى فى دراسته على اتصال دائم بالأسر التى اختارها لهذه الدراسة ، فكان يقيم بينها كشخصية مجهولة لفترات قد تطول حتى يحصل على المعلومات الكاملة التى يريدتها متبعاً فى ذلك منهج بحث الحالة عن طريق الدراسة الكاملة لطرق ومستوى معيشة الأسرة . كما كان فى سبيل هذه الدراسات يشترك فى كل نشاطها سواء ما كان متعلقاً منها بالنشاط اليدوى أو الدينى أو الثقافى أو الاجتماعى .

ولقد شعر لوبلى مبكراً بالحاجة إلى طرق الدراسة العلمية الحقلية إذ بدونها ما كان يأمل فى التحليل السليم ، ويمكن أن نجمل الطرق التى اتخذها فى دراسته فيما يلى :

١ - وضع بيان تفصيلى عن تكوين الأسرة ووضعها الاجتماعى وعاداتها اليومية فى العمل واللعب والاستهلاك وحالة المسكن وما يحيط به والمظهر الخارجى للأسرة من ناحية علاقاتها ووعيتها الصحى وتصرفاتها الدينية .

٢ - المقابلة الشخصية Personal Interview كأداة لمعرفة ما يريد أن يعبر القلب عنه .

٣ - الاستبيان Questionnaire كوسيلة للمطابقة على ما جاءت به المقابلة الشخصية من نتائج .

٤ - المراجعة والفحص Checking and Verifying للبيانات التى يحصل عليها من مصادر مختلفة ، ولقد استغل لهذه الغاية دفاتر الحسابات ، فكان يختار عدداً من ربات البيوت اللاتى يحتفظن بدفاتر لحساباتهن المنزلية خلال فترة من الزمن ، وكان يعتبر هذه الدفاتر وثائق قيمة إن كانت دقيقة .

أوضح لوبلى كل ذلك فى كتابه الضخم الذى نشره بعنوان « العمال الأوربيون » Ouvriers Europeens ، وقد جاء هذا الكتاب بأجزائه الستة نتيجة دراسة شاقة للأسر العمال خلال فترات زادت على عشرين عاماً وقد نشره فى باريس لأول مرة فى سنة ١٨٥٥ .

وواضح مما سبق أن لوبلى قد جمع بين طريقة بحث الحالة وطريقة القياس الإحصائى كما جمع بين المقابلة الشخصية والاستبيان فى جمع البيانات ، كما أضاف إلى ذلك استخدام دفاتر الحسابات ووسائل المراجعة وإعادة المراجعة . وقد ساهم لوبلى بكل هذا فى وضع أسس البحث العلمى الاجتماعى . ولم يكن دور لوبلى مقصوراً

على مجرد اكتشاف هذه الوسائل الجديدة للدراسة ، بل تعداه إلى استخدام هذه الوسائل بطريقة ناجحة .

ولقد اتجهت دراسة لوبلى اتجاهين يختص الأول بطرق البحث في التحليل الاجتماعى ، واختص الثانى بالإصلاح الاجتماعى ، وقد نشر سنة ١٨٦٤ كتاباً من جزأين بعنوان *La reforme sociale en France* اقترح فيه برامج عملية لرفع المستوى الاجتماعى .

ولقد طبقت طريقة لوبلى في الدراسة فيما بعد على الجماعات الريفية أيضاً ، كما تشعب هذا النوع من الدراسة إلى شعب مختلفة تتصل بالاجتماع والاقتصاد والجغرافية ، وهكذا استمرت مدرسته في عملها بعد أن أخذت تتسع باستمرار وتكونت لها عدة مدارس في جهات مختلفة من العالم ساعدت على اتساع أفق البحث الاجتماعى . ومن المدارس التى اتبعت طريقته في إنجلترا كلية لندن الاقتصادية *London School of Economics* كما تبعت في فرنسا جمعية لوبلى *Le Play Society* .

شارلز بوث Charles Booth ( ١٨٤٠ - ١٩١٦ ) :

يعتبر بوث واحداً من أتباع لوبلى في إنجلترا ، وقد اهتم أساساً بدراسة الفقر في قطاع واحد من المجتمع وهو القسم الشرقى من لندن *The east side of London* ، وقد بدأ دراسته في سنة ١٨٨٦ ونشرها بعنوان :

*Life and Labour of The People of London.*

وقد ظهر الجزء الأول منها في سنة ١٨٩٢ والجزء السابع عشر والأخير في سنة ١٨٩٧ وتعتبر دراسته هذه أساساً لدراسة حياة المجتمعات الحديثة .

ويقول بوث في مقدمة كتابه بأنه قام بمحاولة لإظهار العلاقة العددية التى يحملها الفقر والبؤس وسوء الخلق وبين مصادر الكسب المنظمة ووسائل الراحة ووصف الظروف العامة التى تعيش كل طبقة فى ظلها<sup>(١)</sup> .

وكان المجتمع الإنجليزى ورجال الدولة على علم تام بالفقر الشديد الذى كان سائداً

في ذلك الوقت وخاصة بعد أن نشر برستون W. Preston في سنة ١٨٨٣ كتابه بعنوان *The Bitter of Outcast* ، وقد راج هذا الكتاب في المجتمع الإنجليزي رغم ما تميز به من أسلوب روائي ومبالغة كبيرة في التصوير . وقد كان هذا الأسلوب الأدبي غير المدعم بالحقائق الموضوعية سيئاً في ألا يعتمد عليه كأساس لأي إصلاح حكومي . ولقد تأثر بوث بما كتبه برستون وصمم على أن يحصل على حقائق موضوعية غير متحيزة تتعلق بجزء كبير من سكان لندن . وبدأ دراسته على هذا الأساس ليرى نصف سكان لندن كيف يعيش النصف الآخر إذا ما رفع الستار عن اليأس والفاقة عن طريق الحقائق وعرضها على البرلمان كخطوة أولى لعلاج ما في المجتمع من شرور .

ولقد استعان بوث لهذه الغاية بعدد كبير من المحققين الاجتماعيين والاقتصاديين من أمثال بياتريس بوثر (وب) Peatrice Poltter (Webb) وأوكافيا هيل Octavia Hill وجراهام بالفور Graham Balfour وكلا را كلت Collet ، كما استعان بخدمات ضباط الحضور في المدارس الذين كانوا يحكم عملهم يزورون المنازل في كل أحياء لندن لسؤال الأسر التي لديها أطفال في سن التعليم . وكانت مقابلاته الشخصية لهؤلاء الضباط طويلة حتى لقد استغرق بعضها عشرين ساعة . وقد خرج من هذه المقابلات ، بسجلات للمعلومات أطلق عليها مناجم المعلومات (Mines of informations) كما كان موظفوه ومعاونوهم يراجعون ما يجمع من حقائق على أساس زيارات شتى للأحياء والشوارع والبيوت . وقد بلغ عدد الأسر التي درست حوالي نصف أسر الطبقة العاملة . ولقد عزز بوث المعلومات التي حصل عليها بواسطة المؤتمرات التي كان يعقدها والاستبيانات والتقارير والملاحظة ودراسة الاتحادات التجارية والأحاديث مع كبار الموظفين والمدرسين وأصحاب الأراضي ومحصلي الإيجارات ومفتشى الصحة والوزراء وضباط البوليس وغيرهم .

وعلى الرغم من أن بوث اقتصر في بحثه على جماعة بعينها في مدينة واحدة إلا أن دراسة قد اهتمت بكل التجمعات الاقتصادية والاجتماعية والجنسية ، وبكل العناصر التي تؤثر في حياتهم وعملهم كالدخل وساعات وظروف العمل والمسكن ومستوى المعيشة وعدد الأطفال ، وعددهم بالنسبة لنوع المسكن واتساعه ، ونوع ومدى تردد الأمراض ونشاط وقت الفراغ والأندية وعضوية الاتحادات وغير ذلك من متغيرات ، كما اهتم

بدراسة العلاقة بين الدخل وتكاليف المعيشة ، وأثر ذلك على مستوى المعيشة والعمالة عامة . وقامت الدراسة كلها على أساس بيانات ثابتة لجزء معين من سكان لندن في وقت معين ، ويقول في ذلك :

“My principal aim is still confined to description of things as they are. I have not undertaken to investigate how they came to be, nor except incidentally, to indicate whether they are tending and only to a very limited extent, or very occasionally, has any comparison between made with the past. These points of view are deeply interesting and not to be ignored, but are beyond the scope of my work.”<sup>(١)</sup>

ولقد قام بوث بدراسات مقارنة بين الازدحام والفقير الواضح ، وبين الازدحام والكسب ، وبين طول ووزن تلاميذ المدارس في سن معينة وفي مستوى اقتصادي معين ، وبين الدخل عند الجماعات الحرفية المشغلة وبين مستوى معيشتهم ، وبين عادات الأسر التي تستطيع الاستعانة بالخدم بالأسر التي لا تستطيع ذلك ولكي تكون دراسته صورة معبرة عن الوضع الاجتماعي موضوع الدراسة فقد درس الأسر وحالة الشوارع والمنظمات الاجتماعية التي تضم هذه الأسر أعضاء فيها . كما اهتم في سبيل توضيح كل ذلك بالجداول الإحصائية واللوحات والرسوم البيانية والصور الفوتوغرافية التي تصور مختلف نواحي حياتهم هذا وقد تميز ببحثه بأسلوب أدبي جميل يمكن أن نلمسه في هذا الجزء الذي يصف فيه أحد الشوارع St. Hebr فيقول :

“An awful place, the worst street in the district. The inhabitants are mostly of lowest class and seem to lack all ideas of cleanliness or decency... the children are rarely brought up to any kind of work, but, loaf about, and no doubt form the nucleus for future generation of thieves and other bad characters. The property is all very old and it has been patched up and altered until it is difficult to distinguish one house from another. Small backyards have been utilized for building additional tenements. The property throughout is in very bad condition, unsanitary and crowded : and it is stated (as a suggestive reason why so little has been in the way of remedy) that until very recently the rent collector

(١) شالزبرث : المصدر السابق ص ٥ .

of the property was a brother of the sanitary Inspector. A number of the rooms are occupied by prostitutes of the most pronounced order".<sup>(١)</sup>

ولقد نجح بوث في الجمع بين الطريقة الإحصائية وطريقة بحث الحالة ، وكان يقول لموظفيه : « يجب ألا نهمل الفرد The Case إذا كنا نفكر في النسبة المثوية كما يجب ألا ننسى النسبة المثوية إذا كنا نفكر في الفرد » .

ولكى يطمئن بوث إلى ما كان يعبر عنه الناس من ناحية صدقهم أو كذبهم ، كان يمر بنفسه وسط بعض الأحياء كشخصية غير معروفة ، كما كان ينزل بالأجر عند بعض أسر العمال الفقيرة ، يشاركها حياتها ومواقع اهتمامها وعواطفها وأوقاتها وآمالها ، وكان خلال ذلك كله يدرس هذه الأسر عن قرب .

وتعتبر دراسة بوث على هذا الأساس السابق أكثر من تحقيق في ظروف الطبقات العاملة ، فقد درس ومسح وصنف المهن والخلافات التي تقع بين العمال وأسباب وأشكال فضاها ، كما درس عوامل التجمعات الأجنبية ونظمها القومية والثقافية والتغيرات الجسمية في الجيل التالي ، كما كتب عن النشاط الديني والكنائس والمبشرين ونشاطهم عن الدين ومشاكل الشباب والدين والإحسان ، كما قدم حقائق هامة عن منظمات الضبط الاجتماعي وعن إدارات البوليس وما تتبعه من إجراءات وعن المجالس البلدية ونشاطها .

ولقد حاول بوث في أول الأمر أن يستعين بالإحصاءات الرسمية التي كانت تديعها التعدادات كمصدر من مصادر المعلومات عن الدخل والحرف وعدد الحجر . إلا أنه سرعان ما تجنب هذه الإحصاءات لأنها في نظره لم تكن سوى بيانات عددية جامدة .

روانترى Seebohm Rowntree :

قام روانترى بدراسة مفصلة لظروف الطبقة العاملة في مدينة يورك بإنجلترا ، وقد بدأ هذه الدراسة في سنة ١٨٩٩ ونشر نتائجها في سنة ١٩٠١ بعنوان Poverty : Study of Town Life وكان مجال بحثه أضيق من مجال بحث بوث ، ولذلك فقد اهتم روانترى

(١) شالزبوث : نفس المصدر ١٠ - ١١ .

بتفصيلات أكثر ، كما شمل بحثه على هذا الأساس كل الأسر العاملة في يورك .

وفى دراسته للفقر قسم راونترى الأسر بحسب دخلها الأسبوعى إلى فئات أربع هى :

١ - أقل من ١٨ شلناً . ٢ - من ١٨ - ٢١ شلناً .

٣ - من ٢١ - ٣٠ شلناً . ٤ - أكثر من ٣٠ شلناً .

وهذا التقسيم بالنسبة لأسرة معتدلة العدد تتكون من زوج وزوجته وطفلين أو ثلاثة أو أربعة ، فإذا كانت تعول أقل من طفلين انتقلت إلى الفئة التى تليها وإذا كان لديها أكثر من أربعة أطفال انتقلت إلى فئة أدنى .

وقد اعتبر راونترى أن الأسر التى تدخل ضمن الفئة الأولى ( أقل من ١٨ شلناً أسبوعياً ) إنما تعيش فى مستوى أقل من الفقر الأول Primary Poverty ذلك بعد أن حدد لهذا المستوى ١٨ شلناً أسبوعياً ، وبعد أن عرف الفقر الأول بأنه المستوى الأدنى الذى يتمكن الإنسان معه من الاحتفاظ بكفاءته الجسمية .

“My primary poverty line represented the minimum sum on which physical efficiency could be maintained, it was a standard of bare subsistence rather than living.”<sup>(١)</sup>

وقد افترض راونترى هذا المستوى على أساس تحليل القيمة الغذائية وحساب الوحدات الحرارية ، وتقدير كمية وقيمة الغذاء الضرورى لتوليد أدنى طاقة حرارية ممكنة للعامل وأسرته ، ثم أضاف إلى ذلك النفقات اللازمة للضروريات كإيجار السكن والملبس ولوازم المنزل . وقد اعتبر راونترى هذا المستوى الحد الأدنى للمعيشة وأن أية أسرة لا تمكنها ظروفها من الوصول إلى هذا المستوى إنما تعيش تحت مستوى الفقر الأول . وقد وضع راونترى ذلك بإعطاء صورة لأسرة تعيش فى فقر أولى بقوله :

A family living at the primary poverty level, “must never spend a penny on railway fare or omnibus. They must never go into the country unless they walk. They must never purchase a half penny newspaper or spend a penny to buy a

ticket for a popular concert. They must write no letters to absent children, for they cannot afford to pay the postage. They must never contribute anything to their church or chapel, or give any help to a neighbour which costs them money. They cannot save, nor can they join sick club or trade union, because they cannot pay the necessary subscriptions. The children must have no pocket money for dolls, marbles or sweets. The father must smoke no tobacco, and must drink no beer. The mother must never buy any pretty clothes for herself or for her children, as for the family diet, being governed by the regulation, nothing must be bought but that which is absolutely necessary for the maintenance of physical health, and what is bought must be of the plainest and most economical description. Should a child fall ill it must be attended by the parish doctor, should it die, it must be buried by the parish. Finally, The wage-earner must be never absent from his work for a single day. If any of these conditions are broken, the extra expenditure involved is net, and can only be met by limiting the diet, or, in other words, by sacrificing physical efficiency".<sup>(١)</sup>

وفي سنة ١٩٣٦ قام راونترى بمسح آخر لمدينة يورك نشر نتائجه في سنة ١٩٤١ بعنوان «الفقر والتقدم» Poverty and Progress، وقد أراد بهذا البحث أن يعيد التحقيق الأول ليلمس مدى التغير في حياة السكان خلال الفترة من سنة ١٨٩٩ إلى سنة ١٩٣٦، والتي تميزت بكثير من وسائل الإصلاح الاجتماعي، وكان بحثه في هذه المرة أيضاً شاملاً لجميع الأسر العاملة، وكان عددها ١٦٣٦٢ أسرة . وكما حدد خطأً للفقر في بحثه الأول حدده في بحثه الثاني أيضاً، ولكنه رفع المستوى في هذه المرة إلى ٤٣,٥ شلناً في الأسبوع لأسرة تتكون من زوج وزوجته وثلاثة أطفال، كما استبعد أجر السكن من هذا التحديد .

وقد وجد راونترى في بحثه الثاني أن عدد الأسر التي تعيش في فقر أولى قد تناقص بنسبة تزيد على ٥٠٪ وأن مستوى المعيشة قد ارتفع بنسبة ٣٠٪ عنه في سنة ١٨٩٩ وقد اعتبر هذا التغير نتيجة لعوامل ثلاثة هي انخفاض حجم الأسرة وزيادة الأجور ونمو الخدمات الاجتماعية .

ويهمنا في دراسة راونترى طرقة التي استخدمها في البحث والتي كان سابقاً بها في

دراسته ظاهرة الفقر ومستوى المعيشة بطريقة موضوعية علمية ، كما انفرد راونترى أيضاً بتحقيقه الشامل لجميع الأسر ، وقد مكّنه ذلك من دراسة ناحية هامة تتعلق بالعينات ، وذلك حينما قارن النتائج التي حصل عليها عن طريق البحث الشامل بالنتائج التي كان يحصل عليها لو أنه استخدم في بحثه عينة بدلا من المجموع . وفي سبيل ذلك رتب راونترى الأسر التي بحثها وعددها ١٦٣٦٢ أسرة في جداول ، ثم اختار عشرينها على أساس اختيار منزل من كل عشرة منازل وحصل بذلك على عينة قدرها ١٦٣٦ أسرة ، ثم أعاد الاختيار ثانية على أساس منزل من كل عشرين ، ثم على أساس منزل من كل ثلاثين ، ثم من كل أربعين وخمسين منزلا .

قارن راونترى النتائج التي حصل عليها عن طريق استخدام كل من هذه العينات السابقة بالنتائج التي حصل عليها عن طريق استخدام المجموع ، وذلك لكي يوضح مدى إمكانية الاعتماد على طريقة العينات في البحث وقد وجد بعد ذلك أن الفرق بين النتائج التي حصل عليها عن طريق دراسة المجموع لا تختلف كثيراً عن تلك التي حصل عليها عن طريق العينات ، وقد مثل لذلك بأن دراسة المجموع قد انتهت إلى أن ١٧١٨٥ شخصاً بمعدل ٣١,١٪ من الطبقة العاملة كانت من ناحية دخلها تعيش في مستوى يقل عن الحد الأدنى ، بينما كانت النتائج التي حصل عليها عن طريق العينات المختلفة تتراوح بين ٣١,١٪ و ٣٣,١٪ والفرق كما يرى غير كبير إجمالاً<sup>(١)</sup> .

### نمو حركة المسح الاجتماعي في الولايات المتحدة :

بدأت حركة المسح الاجتماعي في الولايات المتحدة كما بدأت في إنجلترا على أساس عملي وبتوجيه شبه علمي . ومن أبرز من قادوا هذه الحركة جاكوب ريس Jacob Riis وذلك عندما قام ببحثه الذي نشر في سنة ١٨٩٠ بعنوان «كيف يعيش النصف الآخر» "How the Other Half Lives" والذي جمع فيه كثيراً من الحقائق عن ظروف المساكن في نيويورك وقد صورها ووصفها بطريقة روائية حية وضح فيها قذارة هذه المساكن ونقص الوعي الصحي في أغنى المدن الأمريكية ، ثم نشر في سنة ١٩٠٢

(١) راونترى : نفس المرجع السابق ص ٤٧٩ .

بحثاً آخر بعنوان « معركة مع الأحياء المتخلفة » "Battle with the Slums" صور فيه تلك الأحياء التي سماها النصف الآخر .

وكان للصحافة دور هام في نمو حركة المسح الاجتماعي بعد أن اهتمت بهذا النوع من الدراسات الذي وجدت فيه مادة هامة لكتابتها، ومن هذه الصحف The New York Times, North American Review وقد واصلت هذه الصحف نشر مقالاتها لمدة طويلة من سنة ١٨٩٠ إلى سنة ١٩٠٦ عن المجتمع الأمريكي وتدهوره والجريمة وحالة السجون والحالة الصحية مما كان له أثر كبير على الرأي العام الذي أخذ بما كان ينشر في الصحف عن المجتمع الذي يعيش فيه ، وكان هذا مشجعاً على ظهور عدد كبير من الكتاب الذين ساهموا في هذه الحركة من أمثال :

1. Robert Woods, the City Wilderness, 1898.
2. Robert Hunter, Tenements Conditions in Chicago 1901.
3. Lincoln Steffens, The Shame of the Cities, 1904.

وعلى الرغم من أن كل هذه الدراسات لم تكن تتميز بالطابع العلمي الكامل إلا أن أثرها كان كبيراً في توجيه وتنظيم الدراسات العلمية الاجتماعية فيما بعد إذ أنشئ على أثر ذلك في سنة ١٩٠٧ مؤسسة راسل سيج The Russel Sage Foundation بقصد تحسين ظروف المعيشة في الولايات المتحدة ، كما اهتمت علاوة على دراسة الظروف الاجتماعية بطرق البحث وتفسير النتائج .

ويعتبر مسح بتسبرج Pittsburgh Survey أول البحوث الشاملة التي استخدمت فيها طرق البحث المنظمة في دراسة المجتمعات ، وقد بدأ في سنة ١٩٠٩ بإشراف بول كيلوج Paul Kellogg مدير المؤسسة بقصد بحث تأثير التحضر ، وقد رأى كيلوج في مدينة بتسبرج معملاً ومركزاً لعملية التحول الصناعي . وقد أنجبه البحث إلى معرفة القوى التي تؤثر في حياة عمال الصلب ومعرفة عوامل نمو المدينة وأثر هذا النمو في حياة العمال ثم معرفة مدى ملاءمة الهندسة الإنسانية مع الهندسة الصناعية في منطقة الصلب .

وكان مسح بتسبرج عملاً كبيراً درست فيه أغلب مظاهر الحياة في المدينة بواسطة عدد كبير من الباحثين الاجتماعيين المعروفين والعملاء المتخصصين الذين استقل كل

منهم بدراسة رحية معينة كالتفتيش على المصانع والمنازل والبوليس والحريمة والعمال ، وقد نشرت نتائج البحث في سنة ١٩١٤ في ستة مجلدات اختص كل منها بناحية من النواحي .

وفي سنة ١٩١٤ قامت المؤسسة بإشراف مديرها هاريسون Shelby Harrison بمسح سبرنجفيلد بولاية الينويز بقصد دراسة الظروف الاجتماعية لمدينة أمريكية صغيرة ( كان سكانها حوالي ٥٢ ألفاً سنة ١٩١٠ ) ، ونشرت نتائج هذا البحث في سنة ١٩٢٠ بعنوان : Social Conditions of an American City

وقد تعمق هذا البحث في دراسة النواحي الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والصحية والإدارية والقانونية في مدينة سبرنجفيلد ، كما تميز القائمون في البحث بنجاحهم في إشراك المجتمع نفسه معهم وإثارة المواطنين للعمل ، حتى لقد تطوع منهم في البحث حوالي ٩٠٠ فرد يمثلون ١٧ هيئة عامة وخاصة ، لقد حدث هذا نتيجة لحملة الدعاية التي قام بها هاريسون قبل بداية العمل الحقلي ، كما واصل هذه الحملة طوال فترة البحث ، وقد مكنه ذلك من إثارة الاهتمام بالبحث وضمان تعاون المجتمع معه في نواح كثيرة أهمها الحصول على البيانات الصحيحة وتنفيذ توصيات البحث .

وكان نشر نتائج بحثي بتسبرج وسبرنجفيلد سبباً في إثارة اهتمام المجتمعات الأمريكية بفكرة المسح الاجتماعي وقبولها كطريقة فعالة في دراسة وتوجيه الحياة الأمريكية . وقد وصلت هذه الحركة إلى قمته في سنة ١٩٢٨ حينما شمل المسح الاجتماعي عدداً كبيراً من المشاكل الاجتماعية في كل ولاية تقريباً ، ومن أهمها مسح مدينة يورك الذي نشرت نتائجه في عشرة مجلدات في الفترة من ١٩٢٧ إلى ١٩٣١ ومسح الجريمة في ميسوري سنة ١٩٢٦ The Missouri Crime Survey .

وبهنا ونحن نستعرض حركة المسح الاجتماعي في الولايات المتحدة أن نشير إلى تلك الدراسات ذات الطابع الجنسي Racial والتي تتميز بأنها كانت أول البحوث التي اشترك فيها علماء الاجتماع على مدى واسع وبطريقة قيادية ، وقد اهتمت هذه البحوث بدراسة العزلة Segregation والصراع الجنسي Race Riots والتعصب الثقافي والصناعي Educational and Industrial Discrimination ، كما اهتمت بدراسة العناصر الاجتماعية النفسية للخوف والتوتر الداخلي الذي يسود الأفراد ويعمل على انقسام المجتمعات .

ومن أهم هذه البحوث مسح العلاقات الجنسية على شاطئ المحيط الهادى The Pacific Race Relations Survey وقد أشرف عليه روبرت بارك Robert Park واستمر من سنة ١٩٢٥ إلى ١٩٢٩ . وقد درس بارك في هذا البحث دور العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية والبيولوجية ومشاكل الأجناس المتنافسة ، كما استخدم في دراسته وسائل جديدة في التحقيق والتحليل الاجتماعى وذلك حين اعتمد البحث أساساً على :

- ( أ ) الوثائق الشخصية كالمخططات والمذكرات وتواريخ الحياة وخاصة لهؤلاء الذين اندمجوا في الصراع أو شاهدوه ، وذلك بقصد توضيح كيفية تكون مناطق التوتر والمشاكل الناتجة عن بداية اتصال الأجناس بعضها ببعض وما نتج عن ذلك من اتجاهات وتصرفات .
  - ( ب ) التقارير الرسمية والإحصائيات عن نشاط وتجارب الجماعات المختلفة لوصف ما يدور من صراع جنسى وشعور الأجناس نحو بعضها وسبب هذا الشعور .
  - ( ج ) ذاكرة كبار السن من المستوطنين وأقوال أصحاب الأعمال ورجال التبشير وغيرهم ممن شعروا لفترة معينة من الزمن بردود الأفعال التي تحدث بين الجماعات .
  - ( د ) طريقة بحث الحالة للمجتمعات ، حضرية وريفية والتي سكنتها الأجناس لتوضيح تأثير هذه المناطق بوصول المهاجرين إليها ونموهم فيها .
  - ( هـ ) طريقة المقابلة الشخصية لتسجيل كل ما يمكن تسجيله عن لسان المختبرين أنفسهم وخاصة العمال والفلاحين وغيرهم ممن كانوا عنصراً في الصراع الجنسى ، وذلك لتوضيح شعورهم واتجاهاتهم ونقط تبرز هذا الشعور وهذه الاتجاهات<sup>(١)</sup> .
- هذه الاتجاهات والاعتبارات في البحث كانت جديدة بالنسبة للمسح الاجتماعى وخاصة تلك التي اتجهت نحو دراسة العلاقات الإنسانية والمواقف الاجتماعية والرأى العام وكيفية تكون الصراع الجماعى والشخصى والمظهر الاجتماعى النفسى للاتصالات في المجتمع مما أكد اعتبار المجتمع نسيجاً اجتماعياً توجد فيه أصول المشاكل الاجتماعية .

(١) R. Park. The Race Relations Survey in the Pacific Coast, Mid-Pacific Magazine

(Nov. 1925) pp. 200 - 205.

## المسح الاجتماعي لدائرة باب الشعربية

قامت به جامعة عين شمس في سنة ١٩٦١ وأسندت مهمة الإشراف عليه للأستاذ الدكتور حسن الساعاني . والبحث يهدف إلى التعرف على الحقائق الخاصة بالموضوعات التي من شأنها إعطاء فكرة واضحة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان دائرة باب الشعربية مع التركيز على دراسة الأسرة من ناحية حجمها ومهن أفرادها ، والحالة التعليمية والاقتصادية والسكنية . وهل هي وافدة إلى القاهرة ، كما كان البحث يهدف إلى التحقق من كون دائرة باب الشعربية منطقة جذب للمهاجرين إلى مدينة القاهرة ، وقد تضمن هذا الهدف دراسة الدائرة بوصفها متخلفة عمرانياً في معظم أجزائها ، وكل ذلك كان يتم تمهيداً لعمليات لاحقة من التخطيط والإصلاح .

ولما كانت الدائرة تشمل وقت إجراء البحث حوالي ٣٠ ألف أسرة كان لا بد من اختيار عينة ماثلة ، وفعلاً قام المسح على أساس دراسة عينة قدرها ٣٪ ، ويكون عدد الأسر التي قامت عليها الدراسة بذلك ١٠٠٠ أسرة ، ولقد اختيرت العينة بالطريقة العشوائية على أساس التمثيل النسبي لعدد الأسر في كل شياخة من الشياخات الست عشرة . كما استخدمت المقابلة الشخصية للحصول على البيانات التي تضمنتها استمارة المسح .

وقد انتهى المسح بعدد من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي :

- ١ - كثرة المهاجرين الوافدين إلى الدائرة حتى لقد بلغوا ٤٠٪ من مجموع سكانها ، وقد ثبت بذلك أن الدائرة تشكل منطقة جذب للمهاجرين من الريف .
- ٢ - وفرة المؤسسات الاجتماعية والثقافية والدينية والصحية في الدائرة .
- ٣ - قلة المرافق وسوء الحالة السكنية وارتفاع إيجار المساكن وقذارة الشوارع وكثرة المقاهي والورش .
- ٤ - عدم وجود مياه جارية في نسبة كبيرة من المساكن تصل إلى خمس عددها ، وكذلك الحال بالنسبة للمجاري ، وعدم وجود دورات مياه في  $\frac{1}{4}$  المساكن تقريباً .

وقد أوصى القائمون بالمسح على ضرورة الاتفاق على تخطيط يهدف إلى حل المشكلات الاجتماعية ، وإعادة تنظيم المجتمع على ضوء ما كشفت عنه الدراسة من نتائج مع إعطاء أولوية للسياخات التي ثبت أنها في مستوى رديء أو رديء جداً ، وكان عددها ٧ سياخات من الـ ١٦ سياخة .

كما أوصى المسح بضرورة تحقيق عدد من الاقتراحات مثل إنشاء عدد من المساكن الشعبية ، وإدخال المياه والمجارى والكهرباء ، وتشغيل المتعطلين ، وكانت نسبتهم ١٠ ٪ من عمال الدائرة ويشكلون أكبر فئة عاملة في الدائرة ، كما أوصى بإنشاء عدد من الجمعيات التعاونية المتزلية ، والعمل على محو الأمية ، وتخفيض الإيجارات وإنشاء الأندية المختلفة وتحديد مواعيد لعمل الورش <sup>(١)</sup> .

وبهنا في عرضنا لهذا النموذج من نماذج المسح الاجتماعي أن نقرر بأنه دراسة قامت أساساً وفي ذهن من قاموا بها على وضع خطط للإصلاح للقضاء على أمراض اجتماعية بذاتها في منطقة جغرافية معينة .

والآن وبعد أن استعرضنا هذه النماذج من المسح الاجتماعي ، يمكننا أن نستعرض بعض التعاريف التي عرف بها ، ومنها تعريف كليوج وهاريسون وقد عرفاه بأنه الدراسة الاجتماعية التي تهدف أساساً إلى بناء برنامج لإصلاح وتحسين بعض الظروف الحارية ذات الطبيعة المرضية ، وأن هذه الظروف لها حدود جغرافية معينة وذات تأثير اجتماعي معين ، وأنها مما يمكن قياسه ومقارنته بأوضاع متفق عليها كنموذج ، ويقوم المسح الاجتماعي عادة على أساس تعاوني مستخدماً الطرق العلمية في دراسة المشاكل الاجتماعية التي لها من القوة ما يجعلها تثير الرأي العام والرغبة في حلها <sup>(٢)</sup> .

أما أرنست بيرجس Burgess فيرى أن المسح الاجتماعي هو الدراسة العلمية لظروف مجتمع واحتياجاته بقصد تصميم برنامج بنائي لتقدمه الاجتماعي .

“A survey of a community is the scientific study of its conditions and needs for the purpose of presenting a constructive program of social advance.”(٣)

(١) جامعة عين شمس : المسح الاجتماعي لدائرة باب الشمرية (القاهرة ١٩٦١) . الاقتراحات في صفحات ٦٧ / ٧٢ .

(٢) Pauline Young, Scientific Social Surveys and Research (N.Y., 1953) p. 20.

(٣) Ernest Burgess, Social Survey in American Journal of Sociology, XXI. (Jan. 1916)

## البحث الاجتماعي :

يختلف البحث الاجتماعي عن المسح الاجتماعي في أن القائم بالبحث الاجتماعي يهتم علمياً بطبيعة وتغير واتجاه الظواهر الاجتماعية والجماعات والتصرفات الإنسانية بقصد الفهم والتحليل ، ثم الخروج بمبادئ عامة عن هذه الظواهر أو التصرفات نتيجة لدراسة بيانات تختار عادة كنموذج ممثل للظاهرة موضوع الدراسة ، كأن يخرج الباحث مثلاً بمبادئ عامة عن الصراع الثقافي أو عملية التمثيل أو الانتحار .

وعلى هذا الأساس يمكن أن نعرف البحث الاجتماعي بأنه الطريقة المنظمة لاكتشاف حقائق جديدة أو التحقق من صحة حقائق قديمة ، وآثارها والعلاقات التي تتصل بها وتفسيرها والقوانين التي تحكمها . وبذلك يهدف البحث الاجتماعي أساساً إلى فهم الحياة الاجتماعية والوصول إلى مقاييس أوسع لضبط التصرفات الاجتماعية .

ويمكننا أن نتصور طبيعة البحوث الاجتماعية إذا استغرنا عدداً من هذه البحوث

ومنها :

بحث ميدلتون Middletown وقام به روبرت ليند وزوجته هيلين ليند ، Robert and Helen Lynd بقصد الكشف بطريقة منظمة عن الحياة في مدينة اختارها الباحثان نموذجاً للمدن المماثلة ، وذلك عن طريق تسجيل الظواهر التي تشاهد ودراسة تصرف الجماعة . ول هذه الغاية وباستخدام عدد من الطرق المختلفة درس الباحثان عمليات الكسب في ميدلتون وما يصاحبها من اتجاهات حرفية وأوضاع اقتصادية ومشاكل اجتماعية ، ثم العمليات والاتجاهات التي تتدخل في تكوين الأسرة كالتحطبة والرواج وتربية الأطفال واستغلال وقت الفراغ والعمليات التي تتدخل في الحياة الدينية كالمعتقدات السائدة والطقوس والاحتفالات الدينية عامة كما تؤثر في حياة الجماعة ، ثم العمليات التي تؤثر في حياة المجتمع ونشاطه وأجهزة الضبط الحكومي ، وأخيراً العمليات التي تعمل على تماسك الجماعة والتي تعمل على تفككها .

وقد رأى مؤلفا ميدلتون أن أوجه النشاط الرئيسية هذه في ميدلتون تمثل في الوقت نفسه أوجه النشاط الرئيسية في أي مجتمع إنساني سواء كان ذلك في وسط أستراليا أو في أي مجتمع حضري معقد . وعلى هذا الأسس فقد افترضنا أنه بدراسة هذه النواحي من

أوجه النشاط الرئيسية للجماعة يكونا قادرين على الإلمام بعمليات التغيير عامة ، خاصة وأن المجتمعات الإنسانية عرضة باستمرار لموجات حضارية قوية من نماذج تفرض عليها ما يسود خارجها من مظاهر مادية وغير مادية .

٢ - بحث العصبية ، وقام به فريدك ثراشر Frederick Thrasher ونشر في سنة ١٩٢٧ بعنوان The Gang وقد اهتم ثراشر فيه بتحليل العصبية أو العصابة وبدورها الاجتماعي باعتباره أثراً سلباً من آثار المدنية في المدن . وقد اتجهت دراسته أساساً إلى تحليل العمليات المرتبطة بالعصابات والعوامل التي تختبئ وراء هذا التعصب ، والوسط الاجتماعي الذي يلائم العصابات والذي يهيئ لها وسائل الانتعاش أو النجاح ، ثم العصابة كنوع من التصرف الجمعي وعضو العصابة كنوع من أنواع الشخصية .

وقد استخدم ثراشر طرقاً مختلفة في دراسته للعصابات ، نشأتها وتنظيمها والصلات الاجتماعية السائدة فيها ودورها في المجتمع

٣ - بحث قرية روسية في أمريكا Russian Town in America وقامت به بولين ينج Pauline Young ، وقد اهتمت فيه بدراسة الصراع الحضاري للجماعة تمثل طائفة دينية معينة كانت تعيش قبل هجرتها إلى أمريكا في منطقة زراعية منعزلة من روسيا وقد قامت الباحثة بدراسة عملية التمثيل Assimilation والأمركة Americanization التي تعرض لها أفراد هذه الجماعة الطائفية ، كما درست أيضاً عمليات المقاومة التي ظهرت بين أفراد الجيل الأول والاستسلام بين أفراد الجيل الثاني وما صاحب ذلك من ظهور معايير جديدة ومثل خلقية جديدة وعادات جديدة في المعيشة والتفكير ، وتصور الدراسة الصراع بين عوامل الضبط التقليدية القديمة عند الجماعة مع عوامل الضبط الثانوية في مدينة كبرى ، وانتهيار التنظيم الاجتماعي الأول وبداية إعادة تنظيمه من جديد .

ولقد افترضت الدكتورة ينج في دراستها لهذه الجماعة الروسية The Molkans أنها تمثل إلى حد كبير نفس الأوضاع الاجتماعية والعمليات الاجتماعية والمشاكل عند الطوائف الريفية الدينية الأخرى التي هاجرت إلى مناطق حضرية من الولايات المتحدة وكان هدفها من هذه الدراسة معرفة الصفات الأساسية الطائفية وأثرها على شخصية

أفرادها وطبيعة ومصادر الصراع الحضارى ، والصراع الذى يقوم حول السلطة بين نظم الطائفة والنظم المدنية فى مجتمع أمريكى حضرى ، ثم عمليات انقسام الحياة فى الجماعة وعمليات الإذابة الحضارية للصغار

ولقد تطلبت الدراسة تحديد عدد من الفروض لاختبار صحتها أو عدم صحتها . ومن الفروض التى ثبت صحتها « كلما ازداد تنوع الصلات الحضرية بين صغار المولوكان ازداد الصراع مع حضارتهم الأصلية عمقاً » .

The greater the variety of urban contacts by young Molokans, the greater the intensity of the conflicts with their own culture."

ومن الفروض التى لم تثبت صحتها « سيختفى المذهب الطائفى المولوكانى من أمريكا إلى حد كبير بعد أن ينضج الجيل الذى ولد فى أمريكا أو تعلم فى مدارس أمريكية » .

With the maturity of the American born and American schooled generation, Molokanism in America would largely disappear.

ولقد استخدمت الباحثة فى جمع بياناتها طريقة المقابلة الشخصية كما استخدمت طريقة بحث الحالة والطريقة الإحصائية والمنهج التاريخى ، ونشرت نتيجة دراستها فى سنة ١٩٣٢ فى كتاب بعنوان "Pilgrims of Russian Town" .

٤ - بحث اللاجئيين الفلسطينيين فى معسكرات سورية وقطاع غزة : وقد قام به مؤلف هذا الكتاب بقصد تحقيق عدد من النواحي العلمية يتعلق بعضها بالمجتمعات غير الطبيعية ، وهى المجتمعات التى تسيرها قوى خارجة عنها ترغمها على البقاء حيث هى وتحدد علاقاتها بتنظيمات معينة ، وقياس آراء واتجاهات أفراد هذه المجتمعات وما يمكن أن تفسره هذه الآراء والاتجاهات ، وتحقيق ما يمكن أن تتميز به هذه المجتمعات من تماسك أساسه نفسى بسبب اشتراك أفرادها عادة فى الآمال والآلام وشعورهم بما يقع عليهم من ظلم أو اضطهاد .

ومن المعسكرات غير الطبيعية التى درست علمياً ، معسكرات الاعتقال فى روسيا وألمانيا النازية ، ومجتمع المعزل الأفريقى فى بنشوانا لاند ، وقد أضاف المؤلف بدراسة معسكرات اللاجئيين نوعاً آخر من هذه المجتمعات غير الطبيعية .

ويمكن إيجاز الأهداف العلمية الرئيسية من دراسة اللاجئين الفلسطينيين في معسكراتهم فيما يلي :

- ١ - النظر لمعسكر اللاجئين من حيث كونه مجتمعاً والبحث في مقومات مثل هذا المجتمع وإمكانيات بقائه .
  - ٢ - البحث في مدى ما تنطوى عليه فكرة المعسكر من عمل إنساني قصد به تعويض اللاجئين عن بلادهم ، وقابلية وصف هذا العمل بأنه إنساني .
  - ٣ - تحقيق مدى ثقة اللاجئين الفلسطينيين في الهيئات الدولية المعنية بشؤونهم .
  - ٤ - تحقيق الأسباب التي تؤدي إلى التباين أو التشابه في حياة اللاجئين في كل من قطاع غزة وسورية .
  - ٥ - تحقيق الأسباب التي تؤدي إلى التباين في معاملة اللاجئين الأوروبيين في أوروبا ومعاملة اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى .
  - ٦ - تحقيق ما يقال من أن أحد عوامل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بيع العرب أراضيهم لليهود قبل قيام دولة إسرائيل وأثناء الانتداب البريطاني .
- كما كانت الدراسة تهدف من جانب آخر وبطريق غير مباشر إلى ناحية عملية ، وهي أنها بتوضيح أحوال اللاجئين الفلسطينيين في سورية وقطاع غزة ، وبمقارنة هذه الأحوال فيما بينها في كل من هذين المكانين ثم بمقارنتها بأحوال اللاجئين الأوروبيين ربما استطاعت أن تلقى بعض الضوء على المشككة فتير السبيل أمام الحكومات والهيئات المختلفة للطرق العملية لحلها . وهذا الاتجاه العمل نحو تطبيقات العلوم لخدمة المجتمع أصبح أمراً ضرورياً متفقاً عليه بين العلماء في كل بلاد العالم وخاصة في إنجلترا والولايات المتحدة .
- ومن ضمن النتائج التي انتهى إليها البحث أن المعسكر لم يف بأي من الغرضين اللذين أنشئ من أجلهما ، فهو لم يعوض اللاجئين عن وطنهم بعد أن ثبت بالبحث أن أملهم في هذه العودة يقوى يوماً بعد يوم ، أما الغرض الثاني وهو تحقيق الناحية الإنسانية ، فقد أثبت البحث أن حشرهم في هذه المعسكرات وبالصورة التي درسوا عليها يبعد كل البعد عن الناحية الإنسانية .

كما انتهى البحث إلى عدد آخر من النتائج يتعلق بعضها بمقارنة اللاجئين الفلسطينيين باللاجئين الأوربيين ، وبما بشاع عن بيع اللاجئين لأراضيهم لليهود وعن مدى تماسكهم كمجموعة .

وقد استخدم الباحث في هذه الدراسة طريقة المقابلة الشخصية والطريقة الإحصائية والمنهج التاريخي والملاحظة الشخصية :

٥ - بحث المعوقات الاجتماعية والاقتصادية لتخطيط التعليم . ودراسة على ظاهرة التسرب في التعليم الابتدائي في مصر .

موضوع رسالة تقدم بها سالم عبد العزيز محمود للحصول على درجة الدكتوراه في علم الاجتماع بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الحميد لطفى ، ونوقشت في مارس ١٩٧٦ وأجيزت بمرتبة الشرف الأولى .

وكانت الدراسة تهدف إلى تحقيق النواحي التالية :

١ - تأثير العوامل الاجتماعية والاقتصادية على الاتجاهات السائدة في المجتمع نحو التعليم ، وتحديد مسئولية أفراد المجتمع في خلق المعوقات الاجتماعية والاقتصادية لتخطيط التعليم العام في مصر .

٢ - تحديد مسئولية النظام التعليمي القائم في خلق وجود المعوقات الاجتماعية والاقتصادية لتخطيط التعليم العام في مصر .

٣ - تحديد أهم العوامل الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة على ظاهرة التسرب في التعليم الابتدائي في مصر .

وقد قامت الدراسة الميدانية المقارنة بين ثلاثة أنماط ، الحضري ( القاهرة والإسكندرية ) والريفى بالوجه البحرى ( المنوفية والبحيرة ) ، والريفى بالوجه القبلى ( أسيوط وسوهاج ) كما قامت الدراسة على عينة قدرها ٥٠٠ أسرة تمثل القاهرة والإسكندرية منها ٢٧٥ وحدة ، والمنوفية والبحيرة ١٢٠ وحدة وأسيوط وسوهاج ١٠٥ وحدات ، وذلك على أساس عدد تلاميذ السنة الأولى الابتدائية بكل قطاع من القطاعات الثلاثة .

وقد انتهت الدراسة إلى عدد من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي :

- (أ) تمثل مجموعة العوامل الاجتماعية والاقتصادية معوقات أساسية تؤثر تأثيراً سلبياً في اتجاهات أفراد المجتمع نحو التعليم . وتمثل هذه المجموعة من العوامل في تفتيت الملكية والتجزؤ الحيازي للأرض الزراعية في المجتمع الريفي وزيادة معدل الإنجاب وزيادة حجم الإعالة في الأسرة، وأخيراً الهجرة الداخلية من الريف إلى الحضر .
- (ب) يعد النظام التعليمي القائم مسئولاً عن المعوقات الاجتماعية والاقتصادية لتخطيط التعليم العام في مصر نتيجة لقلّة الإمكانات المتاحة لمواجهة الأعداد المتزايدة من التلاميذ ولعدم واقعية الأهداف المرسومة له .
- (ج) إن أعداد السكان الذين في سن التعليم الابتدائي (٦ سنوات) والذين لا يستوعبهم نظام التعليم الابتدائي ، وأعداد التلاميذ المتسربين من التعليم الابتدائي يمدون أو يفقدون حجم الأمية بصورة مستمرة .

#### ٦ - بحث تنظيم الأسرة :

قامت به كليتا الآداب والتربية بجامعة عين شمس بتكليف من الجامعة بهدف دراسة ظاهرة تنظيم الأسرة في المجتمع المصري للوصول إلى الحقائق المختلفة التي يسفر عنها البحث والتي تخضع لها هذه الظاهرة في المجتمع .

وقد شكلت لجنة البحث من أعضاء هيئة التدريس والمعيدين بكليتي الآداب والتربية بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الحميد لطفى وعضوية الأستاذ الدكتور سعيد غنيم والدكتور محمود عودة والدكتور محمود أبو النيل والدكتور السيد الحسيني من كلية الآداب ، والدكتور سليمان الحضري من كلية التربية ومن خمسة من المعيدين في الكليتين .

وقد شكل للبحث فريق للعمل الميداني يتولى جمع البيانات من القطاعات الاجتماعية المختارة وطبقت استمارة البحث على حوالي ١٠٠٠ أسرة في محافظة الغربية عن الوجه البحري ومحافظة قنا عن الوجه القبلي موزعة على ١٣ قرية من المحافظتين .

وبعد انتهاء العمل الميداني أجريت عمليات التحليل الإحصائي لعدد من المتغيرات في علاقتها بالاتجاه نحو تنظيم الأسرة في ضوء ما أسفرت عنه عمليات تفرغ بيانات الاستمارة وتمثلت هذه المتغيرات في :

( أ ) الاتجاهات العامة نحو تنظيم الأسرة .

( ب ) العلاقة بين الإقامة في أى من الوجهين القبلى والبحرى وبين الاتجاهات نحو تنظيم الأسرة .

( ج ) العلاقة بين القرب أو البعد من المراكز الحضرية وبين الاتجاهات نحو تنظيم الأسرة .

( د ) أثر الفروق بين النوعين ( ذكور وإناث ) على الاتجاهات نحو تنظيم الأسرة .

وقد انتهى البحث وقدم تقريره إلى الجامعة في أوائل سنة ١٩٧٧ بعد أن استغرق البحث حوالى ست سنوات ، وتقوم الجامعة حالياً بطبعه .

ويهمنا من هذا البحث أنه لم يتضمن في أهدافه أية نواحي تتعلق بعمليات للعلاج أو الإصلاح الاجتماعى وإنما اقتصر الهدف على مجرد تحديد عدد من الحقائق والاتجاهات التى تتعلق بموضوع البحث ، وإن كان هذا لا يمنع طبعاً من إمكان الاستفادة منه فيما بعد في العلاج أو الإصلاح .

وبحث تنظيم الأسرة هذا وإن كان يعتبر من البحوث الكبيرة إلا أنه مع هذا اعتبر دراسة استطلاعية تمهيداً لدراسة أخرى في نفس الموضوع على مستوى أوسع وأشمل .

وواضح من هذه النماذج التى استعرضناها للبحث الاجتماعى أن الباحثين فيها كانت لديهم فروض مبدئية عن موضوع دراستهم . وقد بحثت هذه الفروض لمعرفة صحتها أو استبدالها بأنواع أخرى من المعرفة .

ومثل هذه البحوث السابقة وغيرها لا تهتم بالمجتمعات أو المشاكل الاجتماعية كفايات في حد ذاتها ، وإنما كوحدات مفروض فيها أنها تمثل مظاهر معينة للتصرف الإنسانى يمكن عن طريق دراستها بطريقة علمية منظمة أن نصل إلى مرحلة الفهم والتعميم ، والتنبؤ بعد ذلك بعمليات التغير أو الصراع أو التكيف أو تكوين العصابات وغير ذلك من مظاهر حياة الجماعة التى تحدث في هذه المجتمعات التى بحثت أو في غيرها من التجمعات المماثلة في وقت القيام بالدراسة أو في أوقات أخرى .

وعلى ذلك فالبحوث الاجتماعية لا تهتم بالمشاكل المرضية إلا بقدر ما يمكن هذه المشاكل من إلقاء الضوء على العمليات الاجتماعية الأساسية والتصرف الإنساني .

ولا تهتم البحوث الاجتماعية بالهندسة الاجتماعية أو العلاج الاجتماعي أو تعديل وتحسين الإدارة أو النظم الإدارية أو الإصلاح الاجتماعي ، ذلك لأن طالب البحث الاجتماعي لا يضع مقدماً معايير للحياة والعمل أو للكفاءة والرخاء ، كما أنه لا يقيس الظواهر الاجتماعية على ضوء هذه المعايير بقصد تحسينها .

وبعد أن استعرضنا هذه النماذج للمسح الاجتماعي والبحث الاجتماعي يمكن أن نحدد أوجه الاختلاف بينهما فيما يلي :

١ - يتفق المسح الاجتماعي مع البحث الاجتماعي في أخذهما بالطرق والاتجاهات العلمية التي تبدو في العمل بطريقة منظمة واستشارة المراجع بطريقة غير متحيزة ، والملاحظة وجمع البيانات والتسجيل وتصنيف البيانات بطريقة موضوعية واختبارها ، والتحقق من صحتها . ولكنهما مع ذلك يختلفان في أن المسح الاجتماعي لا يضع فروضاً معينة عن الظاهرة الاجتماعية كما يفعل البحث الاجتماعي .

٢ - يبدأ المسح الاجتماعي على أساس حقائق معروفة .

٣ - لا يلجأ المسح الاجتماعي إلى تكوين نظريات أو قوانين كما يفعل البحث الاجتماعي في محاولة لتفسير العمليات الاجتماعية أو الأنماط الاجتماعية أو التشابه وعدم التشابه الذي يرتبط بالظواهر الاجتماعية كما يفعل البحث الاجتماعي . وعلى العكس من ذلك نجد المسح الاجتماعي يكتفى بتحديد أعراض الظاهرة بقصد تصميم خطة العلاج أو الإصلاح الاجتماعي .

٤ - يشترك المسح الاجتماعي مع الباحث الاجتماعي في اهتمامهما بالحياة الاجتماعية والرخاء الإنساني ، مع اختلاف في أن اهتمام الأول ينصب على أناس بعينهم ، أو مكان بعينه أو وضع معين ، بينما يهتم الثاني بأوضاع معنوية وعالمية أعم كالفصحة والجريمة والانتحار والتشرد ، ففي الوقت الذي يبحث فيه المسح الاجتماعي عن طريقة سريعة قدر الاستطاعة للضبط الاجتماعي الذي يتطلبه ضغط الحاجات المطلوبة

نجد أن الباحث الاجتماعي يفكر في حاجات المستقبل البعيد ، أي في الوقت الذي نجد فيه الأول مهماً بأناس معينين يهتم الثاني بالإنسانية عامة .

وعلى الرغم من أنه لا يمكن أن نتجاهل الحقيقة في أن كلام المسح الاجتماعي والبحث الاجتماعي له أهدافه واتجاهاته المختلفة في دراسة المشاكل الاجتماعية والحياة الاجتماعية إلا أنهما ينبعان من بعضهما ويصبان في بعضهما خلال عملية دئمة من التفاعل ، فالمسح يكشف عن المشاكل التي ينقصها الحل كما يكشف عن عيوب الطرق التي تستخدم في الدراسة ، هذا علاوة على ما يجمع عن طريق المسح من بيانات كثيرة متعددة عن الحياة الاجتماعية التي يستفيد منها البحث الاجتماعي في كثير من الأحيان عند دراسته للعمليات والأشكال الاجتماعية . ومن ناحية أخرى قد يختبر الباحث الاجتماعي صحة النتائج التي توصل إليها المسح الاجتماعي تمهيداً لاقتراح أفكار واتجاهات جديدة .

ومن كل ما سبق نرى أنه لا يوجد خط فاصل واضح بين المسح الاجتماعي والبحث الاجتماعي في مجال العمل الاجتماعي أو الدراسة الاجتماعية . ولكني يكون لكل من هذين النوعين من التحقيق الاجتماعي آثاره الطيبة ويجب أن يعملوا متعاونين . فلكي تكون نتائج المسح مما يعتمد عليه قيامها على أساس مناهج ووسائل البحث ، كما أن البحث بدوره يستخدم النتائج التي يخرج بها المسح ، فهو يختبرها ليؤكددها أو يرفضها ، كما نجد في أحيان كثيرة أن المسح الاجتماعي يشير إلى المشاكل ويثير الأسئلة التي لا يمكن الإجابة عنها أو حلها إلا عن طريق البحث العلمي الدقيق :

## المنهج التاريخي Historical Method

يستخدم المنهج التاريخي للحصول على أنواع من المعرفة عن طريق الماضي بقصد دراسة وتحليل بعض المشكلات الإنسانية والعمليات الاجتماعية الحاضرة ، ذلك لأنه كثيراً ما يصعب علينا فهم حاضر الشيء دون الرجوع إلى ماضيه ، فالملاحظة المباشرة للظواهر الاجتماعية في حالتها الاستقرارية لا تعتبر أساساً كافياً للبحث الاجتماعى لأنها لا تعطينا عن هذه الظواهر مجالاً كافياً أو دقة تامة . ويجب على هذا الأساس أن تضاف إليها دراسة تتجه إلى الكشف عن كيفية نشأة الظاهرة ، وبمعنى آخر تاريخها ، فالماضى لا شك يحوى بذور الحاضر . وإذن فالمنهج التاريخى عبارة عن دراسة الحوادث والوقائع الماضية وتحليل حقائق المشكلات الإنسانية والقوى الاجتماعية التى شكلت الحاضر .

والاتجاه التاريخى ضرورى فى كثير من الحالات لفهم الظواهر الاجتماعية فى الزمان والمكان ، وأثر ذلك فى تكوينها وفى كثير من العمليات الاجتماعية ، ويمكن أن نمثل لذلك بدراسة الأساس التاريخى للمشكلة اليهودية ، وحيث تظهر الحقائق التاريخية عدم صحة كثير مما يدعيه اليهود عن طردهم من فلسطين فى العصور القديمة فى الوقت الذى أثبتت فيه الوثائق التاريخية أنهم لم يطردوا وإنما تركوها باختيارهم عندما وجدوا فى بلاد العالم الأخرى مجالاً أوسع للكسب والثراء .

وإذا استخدمنا المنهج التاريخى فى البحث الاجتماعى أو المسح الاجتماعى فلا يهنا أن ننتعمق فى التاريخ حتى نصل إلى هيرودوت مثلاً ، وإنما يهنا أن نرجع إلى الماضى بالقدر الذى يمكننا من تتبع نمو العمليات الاجتماعية ودراسة أثر ذلك على المشاكل الاجتماعية الحاضرة . ولذلك أهميته فى المسح الاجتماعى ، إذ على ضوءه يمكن تحديد أى الظروف فى حاجة إلى تصحيح ومعرفة الأساس الذى بنى عليه التصميم الاجتماعى لكى يكون هذا التصميم مثمراً إذا أمكن الحصول على القرائن التى قد تهدى إلى مصادر أو أصول المشاكل ومدى أثرها فى حياة الجماعة ، وعن الوسائل والطرق

التي يمكن التحكم بها في هذه المصادر ونفوذها ، وذلك حينما يكون الأساس دينياً مثلاً .

وقد يتسع مجال الدراسة التاريخية فيجد الطالب نفسه وقد اندمج في عدد من العلوم الأخرى كعلم المخطوطات القديمة Palaeogrhy أو علم الآثار Archaeology و علم الجغرافيا أو الأنثروبولوجي .

واستخدامنا للمنهج التاريخي يدفعنا إلى استشارة كثير من المصادر لكي نحصل على ما نريد من بيانات ، ومن أهم هذه المصادر .

١ - الوثائق - وقد تكون هذه الوثائق مكتوبة كالمخطوطات والرسائل والمذكرات وتواريخ الحياة وحيثيات الأحكام والاتفاقيات والقوانين والسجلات التجارية والبحراند وخلاف ذلك من بيانات مسجلة . وقد تكون هذه الوثائق شفوية كالحكم والأمثال والأساطير والأغاني الشعبية والطقوس ، كما قد تكون مصورة كالنحت والرسم والصور والتقود والأدوات الفنية والآثار .

٢ - ما كتب في تاريخ الحضارة والتاريخ التحليلي في صورة بحوث أو آراء مما يلقي كثيراً من الضوء على الظاهرة موضوع الدراسة .

٣ - الأشخاص الذين لاحظوا الظاهرة بأنفسهم أو الشهود على بعض الوقائع . أما عن متى وكيف وتحت أي ظروف نستخدم كل أو بعض المصادر السابقة فإن هذا يتوقف إلى حد كبير على حكمة الباحث ومدى اهتمامه ومدى اتساع دراسته ومدى توافر هذه المصادر ، إلا أنه مع ذلك يجب على الطالب فيما يتعلق بهذه المصادر أن يراعى ما يلي :

١ - إذا كانت الوثائق التاريخية مما يتعلق بوقائع قديمة تصل في قدمها إلى عدد من القرون لا عدد من الأجيال ، كان من الأفضل لطالب البحث ألا يلبجأ إلى الوثائق الأصلية اكتفاء بما كتبه علماء التاريخ عنها ، فلا داعي لأن يلبجأ إلى أوراق البردي نفسها ما دام قد كتب عنها علماء من أمثال سليم حسن مثلاً ، ذلك لأن عالم التاريخ أو المحلل التاريخي يكون أدعى للاعتماد عليه في هذه الحالة ، إلا أنه مع ذلك فهناك

حالات تتطلب الالتجاء إلى الوثائق مباشرة إذا كان البحث يدور حول نواح لم يسبق تحليلها عن طريق علماء التاريخ ، أو إذا كان البحث يدور حول حلقة مفقودة تتعلق بنظم اجتماعية معينة لم تكن من قبل مجالاً لأية دراسة تاريخية ، أو إذا أردنا أخيراً أن نتحقق من بعض ما كتبه علماء التاريخ .

٢ - المقصود بالبيانات التاريخية كل أنواع المعلومات المتوافرة التي تخص الناس خلال فترة من الوقت يكون قد مضى عليها ثلاثة أو أربعة أجيال على الأقل ، والحكمة من ذلك أن كثيراً من المصادر الضرورية لتفسير الحاضر لا يمكن أن تتوافر إلا إذا انقضى هذا الحاضر وأصبح في الماضي . ومن أمثال هذه المصادر المذكرات Diaries والاعترافات Confessions وتواريخ الحياة Autobiographies والسجلات السرية Archives والاتفاقيات الدبلوماسية السرية وغيرها مما يؤثر في يومنا وجيلنا الحاضر ولكنه يتميز رغم ذلك بأنه بعيد عن متناول أيدينا في الحاضر .

٣ - قد تكون الوثائق المعاصرة وهي التي تتعلق بالحاضر أو بالماضي القريب هي المصدر الوحيد للمعلومات ، وفي هذه الحالة يمكننا أن نستخلص منها الحقائق والعوامل الاجتماعية التي يمكن أن تفسر بها الأوضاع الحاضرة ، ولكنها لن تمدنا بما يمكننا من المقارنة أو التعميم . وقد تكون هذه الوثائق المعاصرة مصدراً مثيراً للمعلومات ، ولكن إلى أي مدى وبأي أسلوب يمكن للباحث أن يعتمد عليها ، فهذا مما تصعب الإجابة عنه بصورة عامة .

٤ - على الباحث الذي يستشير الوثائق الأصلية أن يكون على حذر ، وأن يعتمد دائماً على حكمته ووضعه العلمي إذ قد يختلف فهمه لهذه الوثائق والحقائق التي تعرضها والغرض مما تعرضه . وعليه هنا أن يزن المصادر التي يالجا إليها والبيانات التي تعرضها وأن يميز عن طريق المقارنة بين المصادر التي يعتمد أولاً يعتمد عليها .

٥ - على الباحث قبل أن يالجا إلى الوثائق التاريخية أن يستشير أحد رجال التاريخ ، وأن يشرح له غرضه وحدود دراسته لكي يستفيد من اقتراحه وتوجيهاته في هذا المجال .

٦ - إذا لجاناً إلى البيانات التاريخية وجب علينا أن نسأل أنفسنا عدداً من الأسئلة

عما إذا كان المؤلف قد بلغاً إلى المصادر الأصلية أو إلى مصادر ثانوية وعما إذا كان قد اكتفى بمصدر واحد أو بعدة مصادر وعما إذا كان يهتم بزاوية معينة أو بوجهة نظر عامة ، وعن مدى اتفاق آرائه مع آراء معاصريه . ومن ناحية أخرى نحاول دائماً أن نستشف مدى إخلاصه فيما كتب وهل كانت له مصلحة معينة في أن يخذع القارئ أو هل كان واقعاً تحت تأثير ضغط معين يجعله يبعد عن الصدق ، أو متأثراً بحب أو كراهية تدفعه لأن يكون متحيزاً .

## منهج بحث الحالة The Case Study Method

يعتبر تاريخ الحالة أو تاريخ الحياة كطريقة للدراسة من أقدم الطرق التي استخدمت في عرض وتفسير التجارب الشخصية والسلوك الاجتماعي . وتلمس جذور هذه الطريقة في تلك القصص التي تحكى عن الأنبياء والحكماء ، كما نجدتها ممثلة في الروايات بمختلف أنواعها ، أما في البحوث الاجتماعية فقد بدأ رجال التاريخ باستخدام طريقة بحث الحالة فيما نشره من معلومات وصفية للشعوب والأمم ، ثم أخيراً في دراساتهم الضيقة للجماعات والحوادث والأفراد .

ويعتبر لوبلى أول من استخدم منهج بحث الحالة بطريقة منظمة للحصول على ما كان يريد من إحصائيات تتعلق بدرامته لميزانية الأسرة ، كما اهتم هربرت سبنسر بالاستفادة من نفس المنهج في محاولته لجمع الوثائق الأنتوجرافية للإنسان البدائي كأول وحدة اجتماعية لها صلة بالخلية البيولوجية .

ويتميز منهج دراسة الحالة بالعمق أكثر مما يتميز بالاتساع في درامته للأفراد والمجتمعات والاتجاهات الفردية والاجتماعية ، كما يتميز بالتركيز على الجوانب الفريدة أو المميزة ، ولذلك يشيع استخدامه في الدراسات المتعلقة بالخدمة الاجتماعية وفي الدراسات النفسية الإكلينيكية .

وتبدأ دراسة الحالة في البحوث الاجتماعية بتحديد الظاهرة ثم جمع البيانات عنها ، ويصاحب ذلك وضع فروض معينة وتعديلها باستمرار تعديلاً يتفق مع طبيعة البيانات التي تجمع حتى نصل إلى مرحلة يمكن معها صياغة الفروض بصورة تسمح باختبارها اختباراً دقيقاً يتيسر معه التعميم . وإذن فنحن نلجأ إلى هذه الطريقة إذا أردنا الحصول على معلومات أو بيانات تمكنا من وضع عدد من الفروض لتنظيم بحث معين وتحديد المشكلات التي تستحق البحث ، وعلى هذا الأساس فنحن نلجأ إلى بحث الحالة لا لنختبر فروضاً معينة، وإنما لنحصل على المادة التي تمكنا من تعيين الفروض لكي نكون أقدر على تحديد المشكلات وترتيبها بحسب أهميتها .

وتكتب دراسة الحالة أو تاريخ الحياة عموماً بضمير الغائب بواسطة العاملين الميدان عن طريق المقابلة الشخصية ، كما يضاف إليها بعض الدراسات العملية . يقصد دراسة كل دورة الحياة أو عملية معينة في هذه الدورة ؛ وذلك بالنسبة لوحدة منفردة . قد تكون شخصاً أو أسرة أو مؤسسة أو جماعة أو مجتمعاً بأسره . وتشمل دراسة الحالة للجماعة أو المجتمع عادة عدداً كبيراً من دراسات الحالة للوحدات المتشابهة .

والوثائق الشخصية Personal Documents من أهم المصادر التي يستعان بها في طريقة بحث الحالة ، وتوجد هذه الوثائق في العادة بضمير المتكلم ذلك لأنها إما أن تكون قد كتبت بواسطة صاحبها نفسه وإما أن يكون صاحبها قد ذكرها شفويّاً لشخص آخر . ومن أهم أشكال هذه الوثائق تاريخ الحياة كما كتبه صاحبه بنفسه ، والمذكرات والخطابات والاعترافات .

ولهذه الوثائق الشخصية أهمية في البحوث الاجتماعية لأنها عبارة عن سجلات تكشف عن النفس عمداً أو بدون عمد ، وهي تمدنا بذلك بمعلومات مباشرة عن نشاط وعقلية كاتبها كما تكشف في الوقت نفسه عن علاقاته الاجتماعية التي يفضلها والتي تغير أو تؤثر في سلوكه واتجاهاته وقيم السائدة عنده .

وإجمالاً فإن دراسة الحالة بالنسبة لشخص معين بما يشمله من تاريخ حياته ، تكشف عما يعتمل في نفسه من صراع داخلي كما تكشف عن طريقته في الحياة والدوافع التي تدعوه إلى أن يسلك سلوكاً معيناً والوثائق التي تمنحه أو تثيره أو تتحداه لاتخاذ سلوك بالذات في وضع اجتماعي معين ، وهذه الأوضاع الاجتماعية المختلفة هي التي تمدنا بالفهم العميق لأنماط الحياة ككل أو لتفكك شخصيته .

وفي هذا المعنى يقول كليفورد شو Clifford Shaw إنه عندما قام بدراسته للأحداث المنحرفين كان لكي يتعمق في فهمه لأنماط السلوك التي تصدر عنهم ، ولكي يدرس مدى وعيهم للدور الذي يلعبونه في الجماعة ، بدأ يجمع كثيراً من المعلومات عن طريق دراسة لحالة ، لأن هذا كان يساعده على الفهم بطريقة ملدوسة وبالتفصيل بما في ذلك البيانات الطبية العادية والبيانات والاختبارات السيكولوجية ، والساوك والمعادات

والمعايير الاجتماعية والأساس الحضارى للأسرة والمجتمع والعلاقات الاجتماعية السائدة .

"In order to gain insight into the behaviour patterns of these individuals and learn their conception of the role they play in the group. I started out to accumulate a mass of raw material in the form of cases described in concrete and specific detail including the usual medical psychological and psychiatric data, as well as the cultural background of the family and the community and the life-history and social relationships of the individual."<sup>(١)</sup>

وللمذكرات والخطابات أهميتها في هذا المنهج لأنها تعتبر مكمله لتاريخ الحالة ، فالمذكرات قد تلقى الضوء على الاتصالات الاجتماعية بالنسبة للفرد وتجاربه التي يعتبرها هامة بالنسبة له ، كما تعود أهميتها أيضاً إلى أنها تمدنا بالبيانات كما حدثت عند وقوعها دون أن نعلم بذلك على الذاكرة ، وللخطابات نفس الأهمية من ناحية تكملتها لتاريخ الحالة نظراً لما تحتويه في العادة من بيانات ومواقف شخصية وما تتضمنه من أخبار وردود أفعال عاطفية ومواضع اهتمامات شخصية مما لا يوجد عادة في الوثائق الأخرى ، هذا علاوة على صعوبة الحصول عليها عن طريق المقابلة الشخصية .

وإلى جوار الوثائق الشخصية تعتمد طريقة بحث الحالة على كثير من الوسائل الأخرى كالمقابلة الشخصية والملاحظة والبيانات الإحصائية فيما تحتفظ به المنظمات الاجتماعية من سجلات ، والصور والجرائد والمجلات والجدول والتحليل الإحصائي :

وإذا أردنا أن نميز بين أهداف ووسائل طريقة بحث الحالة في البحوث الاجتماعية وبين أهدافها ووسائلها في الخدمة الاجتماعية ، وجدنا أن البيانات في الخدمة الاجتماعية لا تجمع للمقارنة والتصنيف تمهيداً لتكوين مبادئ عامة ، وإنما تجمع بقصد الوصول إلى تشخيص مستقل دون اعتبار للمقارنة أو التصنيف أو التعميم العلمي . ويكون هذا التشخيص خطوة أولى لتعيين علاج لهذه الحالة بالذات ، في الوقت الذي نجد فيه البحث يقوم بأبحاثه دون اعتبار لأي علاج مباشر .

وعلى الرغم مما تتميز به دراسة الحالة من عمق إلا أن اعتمادها على دراسة عدد محدود من الحالات يجعل التعميم خطراً بل مستحيلاً ، هذا علاوة على أن كثيراً مما يسجل يكون

Clifford Shaw, "The Case Study Method", Publication of American Sociological Society, XXI, 1927, pp. 149 - 150. (١)

عرضة لخطأ الشعور أو الذاكرة أو الحكم أو تمييز اللاشعور ، مع اتجاه الدراسة دائماً إلى التركيز على الحوادث غير العادية ، هذا علاوة على أن البيانات التي تجمع عن طريق دراسة الحالة لا تخضع في العادة لنظام العينات ، وهذا يجعل التعميم إن انتهى إليه البحث يعتمد على بيانات تمثل حالات مميزة .

ويشك رد بين Read Bain في أهمية البيانات التي نحصل عليها عن طريق دراسة الحالة من ناحية كفايتها علمياً للأسباب الآتية<sup>(١)</sup> :

١ - قد يكتب المختبر أو يروي ما يشعر بأن المختبر في حاجة إليه أو ما يظن أنه في حاجة إليه .

٢ - يكون اهتمام المختبر عادة متجهاً إلى التبرير أكثر من اتجاهه إلى تقرير الحقائق .

٣ - يحاول المختبر أن يظهر نفسه في قصته ليس كما هو بل كما يظن أنه هو ، أو كما يود أو يأمل أن يكون أو كما يأمل أو يعتقد الآخرون أنه يكون أو كان أو سيكون .

٤ - يميل المختبر في دراسته إلى رؤية ما يبحث عنه . ونلمس هذه الناحية في الدراسات التي تقوم بها مدارس Adler و Jung و Freud في التحليل النفسي فعلى الرغم مما يحيط دراساتهم جميعاً من اتجاه علمي وما يتميزون به من عقلية علمية فإنهم في دراساتهم لحالة معينة يرى أحدهم فيها نقصاً عضوياً Organ Inferiority ويرى الثاني انطواء أو انبساطاً Introversion or extroversion بينما يرى الثالث عقدة جنسية أو كبت Repressed Libido .

٥ - يتميز معظم الأشخاص الذين تدرس حالاتهم بأنهم مشكلون أو شاذون فردياً أو اجتماعياً ، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن يكون للتعميم قيمة علمية إلا بالنسبة لفئة صغيرة . وحتى بالنسبة لهذه الفئة الصغيرة يكون التعميم مما لا يعتمد عليه لأن كل حالة درست تعتبر فريدة في نوعها .

(١) Read Bain, "The Validity of Life Histories and Diaries, Journal of Educational Research, III (Nov., 1929) pp. 156 - 161.

٦ - يكون المختبر عادة في وضع يميل فيه إلى مساعدة المختبر .

ويمكننا أن نتحاشى هذه العيوب إلى حد كبير إذا ما أخضعنا البيانات التي نحصل عليها للإضافة عن طريق أية مصادر أخرى ، إذا بلغانا إلى طريقة العينات في اختيار الحالات ، وإذا أخضعناها أيضاً للمراقبة والتحليل الدقيق ، هذا بالإضافة إلى دقة اختيار المختبرين ومدى دقتنا في نظامنا وفي طريقتنا في البحث والتسجيل .

ولكن مع كل هذه العيوب فإن طريقة دراسة الحالة تمكننا من الحصول على فروض مشرة كما أنها تمدنا بكثير من البيانات التي يمكن أن تكون لها أهميتها في الاختبار والتي يصعب بدونها أن نصل إلى مرحلة التعميم في العلوم الاجتماعية ، وخاصة إذا ارتفع عدد الحالات التي تبحث وإذا تأكدنا أنها ممثلة للمجموع .

## المنهج التجريبي Experimental Method

يقوم المنهج التجريبي على أساس جمع البيانات بطريقة تسمح باختبار عدد من الفروض عن طريق التحكم في مختلف العوامل التي يمكن أن تؤثر في الظاهرة موضوع الدراسة ، والوصول بذلك إلى العلاقات بين الأسباب والنتائج . وتتمثل هذه البحوث التجريبية بإمكان إعادة إجرائها بواسطة أشخاص آخرين مع الوصول إلى نفس النتائج إذا توحدت الظروف .

ولا تتوافر للباحث في ميدان العلوم الاجتماعية في كثير من الحالات الظروف التي تتوافر للباحث في العلوم الطبيعية نظراً لما تتميز به الظواهر الاجتماعية من تعقيد وتداخل العوامل التي يصعب ضبطها والتحكم فيها وتلك العوامل التي غالباً ما تتمثل في الإنسان نفسه أو المجتمعات الإنسانية عامة .

وفي حالة القيام بإحدى التجارب التي تهدف إلى اختبار فرض معين يرى وجود علاقة منتظمة بين ظاهرة معينة ومتغير بذاته أو بين متغير ومتغير آخر يجب توفير « الضبط العلمي الذي يقوم على أساس دراسة أو ملاحظة جماعتين إحداهما تجريبية Experimental والأخرى ضابطة Controlled تتعدلان في كافة المتغيرات الهامة ما عدا متغيراً واحداً يوجد في الجماعة التجريبية فقط ، وهو المتغير الذي يفترض أنه له علاقة منتظمة بالظاهرة المدروسة أو أن هناك علاقة منتظمة بينه وبين المتغير الآخر فإذا لوحظ أن الظاهرة المدروسة تحدث في الجماعة التجريبية فقط دون الجماعة الضابطة استنتجنا أن هناك علاقة بين هذا المتغير وبين الظاهرة المدروسة أو المتغير الآخر وتزداد ثقتنا في صدق هذا الاستنتاج إذا وجدنا أن التغير في أحد المتغيرين يصاحبه تغير مقابل في المتغير الآخر وفي الاتجاه المتوقع »<sup>(١)</sup> .

هذا الاتجاه التجريبي في الدراسات الاجتماعية من أحدث ما أدخل على هذه

(١) إبراهيم إينودولويس كامل مليكه . البحث الاجتماعي ، مناهج وأدواته (سرس البيان ١٩٥٩)

الدراسات كطريقة للبحث ولقد قامت على هذا الأساس عدد من الدراسات يمثل لنا ستوارث تشاين بعضها على الوجه التالي :

النموذج الأول<sup>(١)</sup> - دراسة تجريبية تهدف إلى معرفة « أثر فترة الالتحاق بالكشافة

على الانسجام الشخصي في المجتمع وكان عنوان هذه الدراسة The Personal Adjustment of Boy scouts in Minneapolis in 1938.

وكانت هذه الدراسة موضوعاً لرسالة الماجستير من جامعة مينا بوليس قدمها Mandel

في سنة ١٩٣٨ . ويمكن إيجاز خطوات البحث فيما يلي :

١ - وجد أن مجموع الأفراد الذين يضمهم البحث ٢٠٥٠ كشافاً في سنة ١٩٣٤

وذلك من واقع سجلات جامعة مينا بوليس .

٢ - اختيرت منهم عينة عشوائية بنسبة ١٠٪ وكان حجمها بذلك ٢٠٥ كشافين .

٣ - لم يعثر من أفراد هذه العينة التي اختيرت في سنة ١٩٣٨ إلا على ١٠٢

كشافين ، وذلك بسبب رحيل الباقين أو هجرتهم أو عدم العثور عليهم أو عدم رغبتهم في التعاون مع البحث .

٤ - قسم الأفراد الذين عثر عليهم وعددهم ١٠٢ إلى فريقين أمضى الأول

في خدمة الكشافة أربع سنوات كاملة ، بينما تركها الفريق الثاني قبل مضي أربع سنوات . وقد كان مجموع كل فريق ٤٠ شخصاً وذلك بعد أن استبعد ٢٢ شخصاً

لعدم استيفائهم الانسجام المطلوب بين الفريقين ، وذلك نتيجة تطبيق أسس معينة وهي المتغيرات التي اختيرت لتحقيق هذا الانسجام ، وكانت في هذا البحث أربعة متغيرات

هي مكان الميلاد ومهنة الأب والحالة الصحية وفئة السن .

٥ - قام البحث بذلك على أساس عينة من فريقين متساويين في العدد يتكون كل

منهما من ٤٠ شخصاً ، وقد اعتبر الفريق الأول وهو الذي أمضى أربع سنوات في خدمة الكشافة الفريق التجريبي Experimental group بينما اعتبر الفريق الثاني وهو الذي

لم يمض في الكشافة أربع سنوات الفريق الضابط Controlled group . والفريقان متعادلان

(١) F. Stuart Chapin, Experimental Designs in Sociological Research (U.S.A.) 1955

في كافة المتغيرات فيما عدا متغيراً واحداً هو مدى الانسجام الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع .

النموذج الثاني<sup>(١)</sup> ، دراسة تجريبية تهدف إلى معرفة أثر إدخال برنامج صحي معين على مجتمع معين ، وعنوان هذه الدراسة :

A Controlled Experiment on Rural Hygiene in Syria.

وقد قدم هذا الموضوع للجامعة الأمريكية في بيروت Stuart Dodd في سنة ١٩٣٤ . وكان هدفه اكتشاف أثر إدخال نوع معين من الثقافة الصحية على إحدى القرى وذلك بمقارنتها بعد فترة معينة من الزمن بقرى أخرى لم تنل مثل هذه الثقافة الصحية . وقد اعتبرت القرية التي أدخلت عليها هذه الثقافة الصحية القرية التجريبية بينما اعتبرت القرى الأخرى ضابطة . ولقد سار البحث بحسب الخطوات التالية :

١ - بدأ الباحث عمله في سنة ١٩٣١ وذلك باختيار أربع قرى في الريف السوري ، منها قرية اعتبرها تجريبية وهي التي سيدخل عليها البرنامج الصحي فيما بعد ، وثلاث قرى أخرى بمثابة عينة ضابطة ، وقد راعى في اختيار هذه القرى الثلاث أن تكون بحسب موقعها بعيدة عن التأثير بالقرية التجريبية التي ستستفيد من البرنامج الصحي ، كما راعى في اختيار القرى الأربع أن تكون متشابهة في عدد من المتغيرات الهامة وكان عددها في هذا البحث تسعة متغيرات تتمثل في النواحي الجغرافية والسكانية والتاريخية والاقتصادية والدينية والمعيشية والتعليمية والترفيهية والصحية .

٢ - قام الباحث بدراسة هذه القرى الأربع على أساس توجيه عدد من الأسئلة الموحدة التي حددت للإجابة عنها درجات معينة ، وكانت للأسئلة عموماً صلة بممارسة النواحي الصحية ، وقد بلغ عددها ٧٧ سؤالاً .

٣ - أدخل على القرية التجريبية البرنامج الصحي المقصود خلال فترة من الزمن بدأت في سنة ١٩٣١ وانتهت في سنة ١٩٣٣ ، وذلك عن طريق إحدى العيادات المتنقلة . وقد استفاد من هذا البرنامج ٤٠ أسرة عربية هي كل سكان القرية .

(١) سيتاوت تشابين : نفس المصدر السابق .

٤ - عاد الباحث في سنة ١٩٣٣ وبعد انتهاء البرنامج الصحي إلى نفس القرى وكانت القرية التجريبية قد استفادت من البرنامج الصحي ، وأعاد نفس الأسئلة التي كان قد وجهها في سنة ١٩٣١ .

٥ - قام الباحث بعد ذلك بمقارناته لمعرفة مدى تأثير القرية التجريبية بالبرنامج الصحي الذي أدخل عليها .

٦ - وجد بالبحث أن القرية التجريبية قد زادت من ٢٥٣ نقطة في سنة ١٩٣١ إلى ٣٠٤ نقط في سنة ١٩٣٣ . بينما وجد أن القرى الأخرى قد زادت من ٢٤١ نقطة في سنة ١٩٣١ إلى ٢٨٦ نقطة في سنة ١٩٣٣ .

والنتيجة وإن كانت قد أتت على غير ما كان يتوقع الباحث إلا أن الطريقة التي استخدمها تعتبر مثالية .

ويمكن أن نمثل للدراسات التي استخدمت المنهج التجريبي بدراستين آخرين أجريتا في مصر على الوجه التالي :-

الدراسة الأولى : عنوانها « العوامل الأسرية المؤدية إلى تغيب العمال في المجال الصناعي » ، وكانت موضوع رسالة تقدم بها طلعت إبراهيم لطفي للحصول على درجة الماجستير في علم الاجتماع بإشراف مؤلف هذا الكتاب ، ونوقشت الرسالة فعلا في سنة ١٩٧٤ وأجيزت بتقدير جيد جداً .  
كانت الدراسة تهدف إلى :

١ - دراسة الآثار المترتبة على تغيب العمال بدون عذر وبنوع خاص على التكلفة والكفاية الإنتاجية .

٢ - تحديد مدى ارتباط العوامل الأسرية بمشكلة التغيب بدون عذر .  
وكان المنهج التجريبي منهجاً أساسياً في هذه الدراسة .

قام الباحث باختيار العمال الذين يمثلون عينة الدراسة من بين العاملين في الورش المختلفة بالوحدة الإنتاجية محل الدراسة ، الذين يشغلون مجموعات الوظائف الفنية والمهنية والخدمات المعاونة دون غيرهم من فئات العاملين شاغلي مجموعات الوظائف المتخصصة والتنظيمية والإدارية أو المكتبية .

وقد اشتملت عينة الدراسة، على ٤٢٠ عاملاً موزعين على مجموعتين من العمال لإحداهما المجموعة التجريبية والأخرى المجموعة الضابطة ، وهما مجموعتان متساويتان في العدد من العمال شاغلي الوظائف الفنية والمهنية والخدمات المعاونة ، وتتكون كل مجموعة من ٢١٠ عمال .

وتمثل المجموعة التجريبية العمال الذين تغيروا عن العمل بدون عذر ثلاثة أيام فأكثر خلال عام ١٩٧١ ، وتمثل المجموعة الضابطة العمال الذين واطبوا على الحضور إلى العمل دون تغيب إطلاقاً خلال نفس العام .

ولقد بلغ عدد العمال الذين تغيروا ثلاثة أيام وأكثر ٣٤٧ عاملاً من مجموع عمال الوحدة البالغ عددهم ٢٧٦٥ ، اختار منهم الباحث ٢٧٦ عاملاً وجددهم مركزون في خمسة أقسام هي مصر الجديدة والزيتون والمطرية والوايلي وشبرا ، ولم يعثر الباحث من هؤلاء في سنة ١٩٧٢ إلا على ٢١٠ عمال ، والباقون كانوا قد فصلوا أو جندوا أو نقلوا ، وعلى ذلك اقتضت العينة التجريبية على ٢١٠ عمال فقط .

تم اختيار الباحث ٢١٠ عمال يمثلون المجموعة الضابطة وذلك من بين العمال الذين لم يتغيروا إطلاقاً خلال عام ١٩٧١ .

وقد تم اختيار أفراد المجموعة الضابطة على أساس تماثل أفرادها مع أفراد المجموعة التجريبية نتيجة لتطبيق أسس معينة هي أهم المتغيرات أو العوامل غير الأسرية المرابطة بتغيب العمال والتي اختيرت لتحقيق الانسجام بين أفراد المجموعتين وذلك على أن يكون كل عامل في المجموعة التجريبية يناظره عامل في المجموعة الضابطة بالنسبة للمتغيرات وهي السن وحل الميلاد والتعليم والتدريب وإصابات العمل ومدة الخدمة ونوع العمل ومكان العمل والإقامة مع الأسرة بالقاهرة في إحدى مناطق السكن الخمس السالفة الذكر .

وعلى ذلك حصل الباحث على مجموعتين متماثلتين في عدد كبير من المتغيرات ولا يختلفون إلا في المتغير التجريبي الذي يتمثل في العوامل الأسرية الذي أراد اختبار أثره مع ظاهرة التغيب بدون عذر .

وقد انتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي :

١ - ثبت بالدراسة أن التغيب عن العمل ظاهرة اجتماعية تتداخل فيها العوامل المختلفة ، أسرية وغير أسرية ، وقد تبين أن العوامل الأسرية مسئولة عن تغيب ٧٧٪ من العمال بينما كانت العوامل غير الأسرية مسئولة عن تغيب ٢٣٪ منهم . وكان أهم العوامل غير الأسرية ما يرجع إلى العامل نفسه مثل سوء الحالة الصحية وظروف العمل .

٢ - ثبت أن أهم العوامل الأسرية المؤدية إلى التغيب بدون عذر هي كثرة الالتزامات الأسرية بنسبة ٤٧٪ ، وسوء الحالة الاقتصادية للأسرة بنسبة ٣٣٪ . والحالة السكنية وظروف الإقامة بنسبة ٢٠٪ . وتتضمن هذه النسبة الأخيرة أموراً مثل مشاكل السكن والخلافات الأسرية ومشاكل الجيران .

الدراسة الثانية : عنوانها « الهجرة الداخلية آثارها ودوافعها » دراسة ميدانية لخصائص المهاجرين من قرية مشيرف إلى القاهرة » . وكانت موضوع رسالة للدكتوراه في علم الاجتماع تقدم بها محمد الغريب عبد الكريم تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الحميد لطفى ، ونوقشت الرسالة في يناير ١٩٧٧ وأجيزت بمرتبة الشرف الأولى .

وكانت الدراسة تهدف إلى تحقيق فروض ثلاثة هي :

١ - تنحصر دوافع الهجرة من الريف إلى الحضر في مجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي يمكن ربطها بمتغيرات نفسية مثل مستوى الطموح والاتجاهات الاجتماعية .

٢ - إن ظاهرة الهجرة الداخلية عملية انتقائية لأشخاص معينين لديهم مجموعة من الخصائص أو الصفات تختلف عن قرنائهم ممن لم يهاجروا .

٣ - هناك آثار واضحة على الفرد والمجتمع نتيجة هجرة الريفيين إلى الحضر يمكن تلمسها عند دراسة المجموعة من الخصائص الاقتصادية والاجتماعية والنفسية لدى هؤلاء المهاجرين .

وقد درس الطالب ظاهرة الهجرة الداخلية والآثار المترتبة عليها من وجهة النظر

السوسولوجية ، واختار قرية مشيرف من محافظة المنوفية على اعتبار أنها قرية تقع ضمن نطاق أكبر المحافظات طرداً لسكانها إلى القاهرة ، كما اختار قرية الكوامل باعتبارها تقع في نطاق محافظة سوهاج أكبر محافظات الوجه القبلي طرداً لسكانها إلى العاصمة .

وقد استخدم الباحث المنهج التجريبي في دراسته ، الأمر الذي يتطلب دراسة عيشتين إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة ، وقد اختيرت العيشتان متماثلتين في أهم المتغيرات إلا في متغير واحد وهو الهجرة كمتغير تجريبي ، اختير من قرية الكوامل ٢٠٠ وحدة لم تهاجر ومن قرية مشيرف ٢٠٠ وحدة لم تهاجر أيضاً ، وتشكلان العينة الضابطة ، كما اختير من سكان قرية مشيرف المهاجرين إلى القاهرة ٢٠٠ وحدة ومن سكان قرية الكوامل المهاجرين إلى القاهرة ٢٠٠ وحدة أخرى ، وهؤلاء جميعاً يشكلون العينة التجريبية .

وقد استخدم الباحث المقابلة الشخصية لجمع البيانات المطلوبة من أفراد العينة ، وقد تضمنت استمارة البحث أساساً بيانات قياس الاتجاهات نحو الهجرة ، وقياس درجة تكيف الريفيين بالحضر ، وقياس مستوى الطموح عند أفراد العيشتين ثم قياس ترتيب القيم عندهم .

كما استخدم الباحث أيضاً منهج بحث الحالة الذي طبقه على مجموعة مختارة من العيشتين قوامها ٤٠ حالة ساقفة بين كل من العينة التجريبية والعينة الضابطة بهدف الوصول إلى تعميمات يمكن أن تصدق على مجموعة المهاجرين من الريف إلى الحضر . وقد انتهت الدراسة بمجموعة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي :

- ١ - ثبت من الدراسة أن الفروض الأساسية الثلاثة قد تحققت بالإيجاب .
- ٢ - إن الاتجاه التلقائي أو الميل الشديد عند الريفيين نحو الهجرة ، كذلك الارتفاع الواضح في درجة مستوى طموحهم هما من الدوافع الأساسية لهجرتهم إلى المدينة ، ووليد ظروف اقتصادية واجتماعية سيئة يمرون بها في مرطهم الأصلي .
- ٣ - إن الهجرة الداخلية في الريف إلى الحضر تمد الصناعة في مدينة القاهرة بسيل متدفق من العمال يتصفون بأن معظمهم من الذكور وفي سن الشباب وغير متزوجين ومتحررين من الارتباطات الأسرية بمجتمعهم الأصلي ، وترتفع بينهم نسبة التعليم عن

قرنائهم الذين لم يهاجروا ، كما يتميزون بأنهم غير مدربين وتنتشر بينهم البطالة ، كما يتدر بينهم أصحاب الملكية الزراعية أو العقارية ، هذا بالإضافة إلى ارتفاع نسبة العاملين الفنيين والحرفيين بينهم عن قرنائهم سكان القرى .

٤ - إن المهاجر من قريتي البحث قد انتقل من وضع اجتماعى اقتصادى معين إلى وضع مشابه له نسبياً في المدينة ، حيث كان ينتمى قبل هجرته إلى الطبقة الدنيا ، وألحق في نفس الطبقة بالمدينة .

والآن وبعد أن استعرضنا عدداً من نماذج الدراسات التي استخدمت المنهج التجريبي يمكننا أن نقول بأنها كانت موفقة إلى حد كبير في الانتقال بعلم الاجتماع إلى مرحلة متقدمة من الدراسة الميدانية وأنها قد استطاعت أن تصل إلى نتائج دقيقة ما كان يمكن الوصول إليها وبهذه الدقة عن غير طريق استخدام هذا المنهج .

ويهمنا في نهاية هذا العرض أن نميز بين اصطلاحين ترددا علينا وهما «التجريب في علم الاجتماع Empiricism» وبين « المنهج التجريبي Experimental Method»، وحيث يجب أن نلاحظ أن التجريب اصطلاح أعم وأشمل ، لأنه يعنى كل ما يتعلق بالعمل الميداني في علم الاجتماع ، بينما يعنى المنهج التجريبي ناحية واحدة من نواحي هذا العمل الميداني ، وعلى ذلك فاصطلاح التجريب في علم الاجتماع يتضمن في داخله المنهج التجريبي .

obeikandi.com

## الفصل الثالث

### طرق الحصول على البيانات

- مقدمة
- المقابلة الشخصية
- الاستبيان
- الملاحظة
- الاتصال التليفوني

obeikandi.com

## الفصل الثالث

### طرق الحصول على البيانات

#### مقدمة :

هناك كثير من الوسائل التي تستخدم للحصول على البيانات من الأفراد الذين يشملهم البحث ، والواقع أن هؤلاء الأفراد إذا ما وجدوا في مكان ما وتم للباحث الاتصال بهم أمكنه استخدام أكثر من طريقة من طرق البحث الاجتماعي والنفسى للحصول على ما يتطلبه ذلك البحث من بيانات .

وعلى الرغم من أننا سندرس على حدة كلا من الوسائل الشائعة الاستخدام في البحوث الاجتماعية العلمية إلا أن هذا لا يمنع في أغاب الحالات من استخدام عدد من هذه الوسائل معاً في البحث الواحد لما في ذلك تجنب عيوب إحدى الوسائل باستخدام وسيلة أخرى معها . والطرق الشائعة الاستخدام للحصول على البيانات هي :

١ - المقابلة الشخصية .

٢ - المقابلة غير المباشرة .

٣ - الملاحظة .

٤ - الاتصال التليفوني .

وسندرس طريقة استخدام كل من هذه الطرق كما سنستعرض عيوب كل منها حتى يساعدنا على اختيار الطريقة التي تناسبنا في بحثنا أكثر من غيرها ، على أنه يجب أن يكون معلوماً أن أياً من هذه الطرق قد يأتي بنتائج مضللة أو غير صحيحة إذ لم يكن التصميم دقيقاً .

## المقابلة الشخصية Personal Interview

يطلق اسم المقابلة الشخصية على طريقة التحقيق التي تتميز بالاتصال وجهاً لوجه . وعلى ذلك فهي تتطلب محققاً ماهراً للحصول على بيانات يسأل عنها عدداً معيناً من الأفراد بطريقة مباشرة . والباحثون الذين يقومون بهذه المهمة يجب أن يختاروا بدقة وأن يبرنوا على الطرق الفنية للحصول على البيانات المطلوبة وتسجيلها . وعلى تعاون المختبرين معهم .

وعلى الرغم من أن أنسب مكان لعملية التحقيق هو البيت الذي يسكنه أفراد العينة فإنه من الممكن أن تتم هذه العملية في أى مكان آخر يوجد فيه هؤلاء الأفراد كقصر العمل أو النادي أو الشارع أو أى مكان يوجدون فيه .

وتلازم طريقة المقابلة الشخصية عملية فحص عينة من عمل كل باحث ، وذلك عن طريق أحد المراجعين ، وهذه العملية تتضمن أن البيانات قد جمعت متفقة مع التعليقات التي وضعت بشأنها ، فإذا حدث وكان هناك ما يدعو إلى الشك تمكن المراجع من مقابلة المختبر ثانية لتصحيح البيانات قبل البدء في استخدام عملية التويب .

ويختلف الوقت اللازم لكل مقابلة شخصية باختلاف طبيعة البحث . فقد يتروح هذا الوقت بين عدة دقائق وساعة كاملة ، وهذا يتوقف طبعاً على نوع البيانات المطلوب جمعها وعلى طبيعة الأشخاص الذين يعطون هذه البيانات ، وأخيراً يتوقف ذلك على الباحث نفسه ومقدرته في الحصول على ما يريد .

ومن أهم ما تتميز به طريقة المقابلة الشخصية ارتفاع نسبة الحالات التي يمكن الحصول عليها وخاصة إذا كان كل من الإعداد والتنظيم دقيقاً ، وقد وجد أنه في الإمكان دائماً الحصول على حوالي ٨٠ ٪ من الحالات المطلوب دراستها ، بل إن هذه النسبة قد تصل في بعض الأحيان إلى ٩٥ ٪ .

ويقترن استخدام طريقة المقابلة الشخصية بمداول لتسجيل البيانات Schedules يتوقف شكلها وتصميمها على نوع البيانات المطلوبة وتصميم هذه الجداول عادة للحصول

على عدد من البيانات المطلوبة على أن يستقل كل جدول بموضوع معين ، ثم تسجل فيها الإجابات التي يحصل عليها الباحث . ومن أمثلة هذه الموضوعات الناحية التعدادية كالسن والنوع وعدد أفراد الأسرة ومكان الميلاد وغيرها من بيانات لها طابع تعدادي ، كما قد تكون أسئلة الرأي أو الشعور حول موقف معين أو مشكلة اجتماعية سائدة ، كما قد تكون أسئلة تتعلق بالعبادات أو التصرفات أو التفضيل بين أشياء معينة . ومهما كان الغرض من البحث فإن كلا من وضع وتصميم الجدول يتطلب مهارة فنية وسعة اطلاع وخبرة .

وقد لا تكون البيانات المطلوبة على أساس أسئلة معينة وإنما على أساس الرواية الحرة وهنا يشجع الباحث أفراد العينة على أن يتكلموا في موضوع معين ، ثم يقوم الباحث بتسجيل اتجاهاتهم وانطباعاتهم أثناء الرواية . إلا أن هذه الطريقة كثيراً ما تكون عرضة للخطأ نظراً لتأثر الباحث بوجهة نظره هو : وقد يختلف تسجيل باحثين لرواية شخص واحد .

وككل الطرق المختلفة للحصول على البيانات نجد لطريقة المقابلة الشخصية عدداً من المزايا كما نجد لها عدداً من العيوب وسنلخص ذلك فيما يلي :

#### مزايا طريقة المقابلة الشخصية :

١ - الحصول على نسبة كبيرة من الحالات وهذا من شأنه أن تكون العينة أكثر تمثيلاً للمجموع وذلك نتيجة لإمكان الاتصال المباشر بأفراد العينة وما وجد من أن معظم الناس سيالون للمعاونة .

٢ - تجميل المعلومات التي يحصل عليها الباحث إلى الصحة أكثر منها في الطرق الأخرى ذلك لأن الباحث يمكنه استبعاد الإجابات غير الواضحة بشرح الأسئلة للمختبر ، كما يمكنه أيضاً بشيء من المهارة الحصول على الإجابة الصحيحة إذا ما حاول المختبر أن يزيّف في إجابته عمداً .

٣ - يتمكن الباحث من الحصول على بيانات إضافية عن صفات المختبر الشخصية والبيئة التي يعيش فيها ، وهذه البيانات أهميتها في التفسير والتقدير .

٤ - يمكن عن طريق المقابلة الشخصية استخدام بعض أجهزة القياس لمعرفة تأثير المختبر بها .

- ٥ - يمكن العودة إلى المختبر ثانية لتكملة بعض الأسئلة أو لتصحيح بعض الإجابات وهذا من شأنه زيادة نسبة الحالات الصحيحة .
- ٦ - يمكن عن طريق المقابلة الشخصية إثبات ردود الأفعال التي تبدو على المختبر حال توجيه الأسئلة إليه .
- ٧ - تحدد هذه الطريقة الشخص الذي أجاب عن الأسئلة بينما يصعب تحديد ذلك إذا استخدمنا بعض الطرق الأخرى كطريقة المقابلة غير المباشرة مثلا وحيث يحتمل اشتراك كل أفراد الأسرة وغيرهم في الإجابة .
- ٨ - يمكن للباحث إطالة وقت المقابلة حتى يوجه المختبر نحو موضوع البحث ، وهذا مما يصعب تحقيقه في المقابلة غير المباشرة مثلا .
- ٩ - يمكن للأسئلة الحساسة أن توجه إلى المختبر بمهارة ، فإذا حدث ولاحظ الباحث حرجاً على المختبر أمكنه تغيير الموضوع أو شرح المشكلة التي يقوم البحث من أجلها وذلك إذا ما بدأ المختبر في العصيان .. وإجمالاً يمكن للتأجيل الحساسة أن تعالج عن طريق المقابلة الشخصية عنها في الطرق الأخرى .
- ١٠ - يمكن عن طريق المقابلة الشخصية أن يحصل الباحث على فترة أطول من وقت المختبر عما لو تمت الإجابة في غير وجوده .
- ١١ - يمكن للغة البحث أن تبسط لتناسب والمستوى الثقافي للمختبر ، وبذلك يمكن تجنب عيوب الأسئلة التي تتميز بعدم الوضوح أو بصعوبة الصياغة .

#### عيوب طريقة المقابلة الشخصية :

- ١ - يعيش كل من المختبر والمختبر عادة في عالمين مختلفين فلكل منهما فلسفته الاجتماعية ووجهة نظره ومثله في الحياة وفي تفسير الظواهر الاجتماعية ، وقد لا تلتقي وجهات نظرهما إطلاقاً ، وهذا من شأنه أن يؤثر في البيانات التي يحصل عليها الباحث ويجعلها قليلة الأهمية من ناحية الأغراض العلمية نتيجة لتأثر البيانات بالشعور الشخصي للباحث .
- ٢ - قد يتأثر المختبر في إجابته نتيجة خطأ في الإدراك أو الذاكرة ، وكلما كانت الظاهرة حديثة سهل تذكرها .
- ٣ - تتطلب هذه الطريقة تنظيمًا كبيراً في عملية اختيار وتمويل وملاحظة الباحثين

إذ غالباً ما تكون البيانات التي يحصل عليها الباحث غير دقيقة أو غير كاملة إذالم يكن متحرناً وموجهاً توجيهياً كاملاً .

٤ - تقرن طريقة المقابلة الشخصية عادة بكثرة مصاريف الانتقال وخاصة إذا ما كانت إقامة أفراد العينة بعيدة عن بعضها وما بصاحب ذلك أيضاً من إضاعة كثير من الوقت في معرفة مجال الإقامة

٥ - تتطلب عملية التحقيق عن طريق المقابلة الشخصية وقتاً أطول للقيام للبحث وذلك إذا قورن بالوقت الذي تتطلبه الطرق الأخرى التي ستتكمّل عنها فيما بعد .

٦ - يؤخذ على هذه الطريقة أن البحث إذا تم أثناء النهار كان أغلب من توجه إليهم الأسئلة من الزوجات ، أما إذا أردنا إجابات الأزواج أصبح ضرورياً أن يتم البحث في المساء أو في يوم العطلة الأسبوعية ، ولما كانت الفترة المسائية المناسبة لا تتجاوز عادة ساعة أو ساعتين كان لا بد في هذه الحالة من استخدام عدد كبير من الباحثين وهذا من شأنه زيادة مصاريف البحث .

ويمكن الاستفادة من استخدام طريقة المقابلة الشخصية إذا راعينا النواحي الفنية التالية :

١ - يجب أن يسبق استخدام طريقة المقابلة كثير من الإعداد والتفكير الذين يتفقان وظروف كل وضع اجتماعي ، وعلى ذلك يجب أن تظل خطة الاستمارة مرنة وعرضة للتغيير والتعديل قبل وضعها بصورتها النهائية ، وذلك بحسب ما سنجد من ظروف المختبرين .

٢ - على الباحث أن يعلم بموضوع الدراسة عن طريق قراءته الخاصة في الكتب أو البحوث السابقة ، أما أن يذهب لاختبار الغير وهو جاهل أو غير واع لاصطلاحات أو تفصيلات معينة فإنه يضع بذلك الكثير من أهمية البحث .

٣ - يفضل دائماً أن يقدم الباحث للمختبر بطريقة شخصية ، وذلك بعد أن وجد أن خطابات التقديم لا تقوم بهذه المهمة كما يجب ، على أن يكون هذا التقديم عن طريق بعض المتحمسين للبحث ، وإذن يفضل أن تكون زيارة الباحث منتظرة حتى يمكن التعرف عليه بمجرد ذكر اسمه .

٤ - يستحسن أن يكون الباحث على علم بظروف المختبر حتى يمكن تعيين الوقت والمكان المناسبين للمقابلة .

٥ - يتجاهل بعض الباحثين قواعد اللياقة والمجاملة وخاصة عند مقابلتهم لأفراد من الطبقات العاملة البسيطة ، مع العلم بأن أى فرد من هذه الطبقات تأسره الكرامة اللطيفة المهذبة .

٦ - عند دراستنا لجماعة أو منظمة أو هيئة يجب على الباحث أن يبدأ بمقابلة قيادتها أو ذوى السلطة فيها قبل أية محاولة مع من هم دونهم وذلك لكى يضمن تعاون هؤلاء القادة وتركيتهم له عند باقى الأفراد أو الأعضاء .

٧ - عقب توجيه التحية المناسبة يبدأ الباحث فى شرح الغرض من المقابلة على أن ييسر فى هذا الشرح قدر طاقته ، وهذا الشرح ضرورى إذا راعينا حق المختبر فى أن يعلم سبب التحقيق معه . ويتوقف مدى تعاون المختبر مع الباحث على مهارته فى إقناعه لانعدام مصلحة المختبر ، ولكن الواقع يثبت غير ذلك دائماً فالباحث طالما كان حسن التوجيه ، عالماً بالموضوع الذى يحقق فيه ، موفقاً فى اختيار الوقت والمكان المناسبين ، وفى إقناع المختبر بأنه فى حاجة إلى معونته بطريقة موضوعية ولأغراض علمية وبأنه ليس ثمة دوافع أخرى تخفى وراء هذه الغاية ، إذا وفق الباحث فى كل هذا تمكن من الحصول بدون مشقة على ما يريد من بيانات .

٨ - من التعليقات التى يذكرها الباحث أثناء المقابلة ما يكون له تأثير كبير على المختبر فيكون أكثر استجابة ووضوحاً ، بشرط أن توجه هذه التعليقات بإخلاص وأن تخلو من أى أثر للتهكم ، ومن هذه التعليقات .

« قليل جداً من الناس من لديهم مثل هذه المعلومات التى لديك » .

« إن ما تذكره من بيانات له قيمة لا تقدر » .

« لقد أوضحت لى بكلامك زاوية جديدة كانت خافية على » .

« لقد أوضع كلامك كثيراً من الحقائق » . الخ .

٩ - على الباحث أن يخلق أثناء المقابلة جوّاً يشعر فيه المختبر بجزية فى الكشف عن قضيته بطريقته الخاصة وعلى راحته وبخاصة فى البحوث التى قد يرى المختبر أنها تهمه شخصياً ، والمختبر هنا فى حاجة إلى مستمع متجاوب لا إلى محقق رسمى .

## المقابلة غير المباشرة

### Questionnaire

يعتبر استخدام المقابلة غير المباشرة كوسيلة لجمع البيانات من أوسع الطرق انتشاراً ، ولكنها برغم ذلك تتميز أيضاً بأنها من أكثر الطرق عرضة للنقد وتمثل هذه الطريقة في أبسط صورها في جدول للأسئلة يرسل بواسطة البريد إلى عدد من الأشخاص الذين يختارون كعينة للبحث على أن يقوم هؤلاء الأشخاص بملء الإجابات المطاوعة ثم إرسالها ثانية إلى القائم بالبحث . إلا أن هذه الطريقة قد تختلف في تفاصيلها وتأخذ شكلاً من الأشكال الآتية :

( أ ) الاستغناء عن إرسال قائمة الأسئلة عن طريق البريد والاكتفاء بنشرها في صحيفة أو مجلة على أن يكون الرد عليها بواسطة البريد .

( ب ) إرفاق الأسئلة بنوع معين من السلع على أن يرسل المستهلك إجابته عن طريق البريد .

( ج ) إذاعة الأسئلة عن طريق الراديو أو التليفزيون .

( د ) توزيع الأسئلة باليد على أفراد العينة ثم جمعها منهم ثانية باليد أو ردها عن طريق البريد .

وتراوح استمارة البحث بين قائمة صغيرة للأسئلة لا تتجاوز الثلاثة أو الأربعة إلى كتيب صغير قد يتجاوز العشر صفحات ، كما تختلف الاستمارة من ناحية نوع الأسئلة فتأخذ أحد الأشكال الآتية :

( أ ) أسئلة مغلقة ، وذلك عندما لا يتعدى المطاوب أكثر من الاختيار من بعض الإجابات المعدة فعلاً في الاستمارة . وقد تحدد هذه الإجابات تفضيل شيء على آخر أو ذكر رأى معين أو اتجاه معين .

( ب ) أسئلة مفتوحة ، وذلك عندما تتطلب الاستمارة كتابة مقال أو موضوع يتصل بالبحث كأن يسأل الشخص عن العوامل التي تؤثر في ترابط الأسرة أو عدم

ترابطها . ويستعمل هذا النوع من الأسئلة عادة عندما يتطلب الأمر دراسة عدد محدود من الحالات أو إذا كانت تمهيداً لدراسة مشكلة جديدة .

( > ) أسئلة مصورة ، والغرض من هذه الأسئلة مجرد الرغبة في الإجابة أو تبسيطها فيوضع السؤال لتكون إجابته عن طريق الاختيار من بين عدد من الرسوم ، فإذا كان السؤال مثلاً ، كم عدد أفراد أسرتك ؟ كان على المختبر أن يختار العدد من بين عدد من الرسوم يوضح أحدها اثنين والآخر ثلاثة والثالث أربعة وهكذا .

وسنقتصر في نقدنا لهذه الطريقة على الشكل الأكثر انتشاراً وهو ذلك الذي يتمثل في إرسال قائمة الأسئلة ثم إعادتها بعد الإجابة عنها عن طريق البريد .

#### مزايا طريقة الاستبيان :

- ١ - يمكن للبحث أن يشمل منطقة جغرافية أوسع من تلك التي يشملها البحث الذي تجمع بياناته عن طريق الاتصال الشخصي وذلك دون زيادة في النفقات .
- ٢ - قلة نفقات البريد إذا قيست بنفقات الاتصال وجهاً لوجه .
- ٣ - ضآلة نفقات تمرين الباحثين وتوفير الجهد والوقت الذي يضيع بسبب هذا التمرين ، هذا علاوة على أنها لا تتطلب عدداً كبيراً منهم لجمع البيانات .
- ٤ - ضآلة نفقات الحالات التي يرفض أصحابها الإجابة إذا قيست بمثل تلك الحالات إذا استخدمت طريقة المقابلة الشخصية .
- ٥ - يكون لدى المختبر عادة الاستعداد للإجابة بجرية وصراحة أكثر مما يكون لديه في حالة المقابلة الشخصية طالما أن شخصيته مجهولة . وإن كان هذا لا يعنى أنه ليس هناك من الناس من يخشى أن يكتب رأيه بصراحة خشية إمكان معرفة شخصيته من مجرد الكتابة .
- ٦ - يمكن لقائمة البحث أن تصل إلى الأشخاص الذين يصعب مقابلتهم شخصياً مثل هؤلاء الذين يسكنون القصور وحيث يحميهم خدمهم أو موظفهم عادة من مقابلة الغرباء ، وإن كان هذا لا يمنع أيضاً من إلقاء قائمة البحث في سلة المهملات عقب استلامها بواسطة الشخص نفسه أو سكرتيره بمجرد قراءة عنوانها .

٧ - التخلص من ظاهرة عدم استلطاف المختبر للباحث في بعض الأحيان والتي تدعو عادة إلى عدم الاستجابة معه .

٨ - تمكن هذه الطريقة وضع أسئلة على مستوى معين غير قابل للتغيير أو التعديل في الوقت الذي يمكن للباحث فيه في طريقة المقابلة الشخصية أن يعدل من حقيقة السؤال أو يوحى بإجابة معينة .

٩ - تهى هذه الطريقة للمختبر الوقت المناسب للإجابة عن الأسئلة كما تهى له فرصة البحث عن بعض البيانات المطلوبة التي لا يتذكرها أو لا يكون متأكداً منها وهي في الوقت نفسه محفوظة لديه في مكان ما من منزله أو مكتبه .

١٠ - تدعو هذه الطريقة إلى ارتفاع نسبة الردود التي تمثل رأى رجل البيت عنها في تلك التي تأتي عن طريق المقابلة الشخصية أو الاتصال التليفوني وحيث يمثل أغلبها رأى سيدة البيت .

#### عيوب طريقة الاستبيان :

١ - لا يمثل الأشخاص الذين يبحثون بردهم العينة التي أرسل إليها الاستبيان ، ذلك لأن نسبة من يردون تختلف بحسب النوع والثقافة والمستوى الاقتصادي وغيرها من المتغيرات المختلفة ، ويعتبر هذا أكبر عيب يمكن أن يوجه إلى هذه الطريقة ، بل إنه عيب يفوق وحده كل المزايا التي ذكرت لهذه الطريقة وعلى ذلك أصبح ضرورياً أن نتعد في دراستنا عن هذه الطريقة ما لم يصحبها من الوسائل ما يمنع تحيز العينة وذلك وبالوصول على رد أكبر عدد ممكن ممن أرسل إليهم استمارة البحث ، أو تعويض النقص عن طريق المقابلة الشخصية .

٢ - وجد أن الردود التي تصل من الأشخاص الذين أرسلت إليهم الاستمارة تكون في العادة ضئيلة . وتتراوح نسبتها في العادة بين ١٠٪ ، ٢٠٪ من مجموع ما يرسل . وتغير هذه النسبة زيادة أو نقصاً تبعاً للمختبرين أنفسهم . وعلى هذا الأساس ترتفع نسبة الردود إذا روعي عدد من الأسس في تصميم استمارة البحث بخلاف الأسئلة مثل شكل الاستمارة وطولها ولون الورق المطبوعة عليه والخطاب المرفق ، ومدى تحدى المعلومات للمختبرين وإثارتها لهم .

٣ - يكتب المختبر إجاباته دون مساعدة الباحث ، وهذا من شأنه احتمال الخطأ في فهم بعض الأسئلة أو عدم الإجابة عن بعضها أو كتابة إجابات يصعب تفرغها مما يؤدي إلى استبعاد نسبة كبيرة من الردود . ويمكن تحاشي هذا العيب إذا راعينا في تصميم الاستمارة البعد عن الأسئلة الغامضة ، والتي تأتي في الوقت نفسه بإجابات غامضة ، وإذا راعينا أيضاً أن تكون أسئلتنا محددة وتتميز بالبساطة والسهولة ، وأن نتجنب الأسئلة التي توحى بإجابات أو تقديرات شخصية ، فلا نسأل مثلاً ، ما رأيك في البرامج التلفزيونية ؟ ونسأل بدلاً عن ذلك ، كم عدد الساعات التي تقضيها أمام التلفزيون ؟ أو أي البرامج تحب ؟

٤ - يصعب في كثير من الحالات صياغة الأسئلة بالبساطة والوضوح المطلوبين لكي يفهما كل الأفراد بمختلف ثقافتهم ومستوياتهم الحضارية ، وذلك حتى يتمكن المختبر العادي أو أقل من العادي من فهمها .

٥ - لضمان الحصول على أكبر نسبة من الردود يلجأ مصمم الاستمارة إلى اختصار عدد الموضوعات وعدد الأسئلة مع ما قد يصاحب هذه التوضيح من قصور في البحث .

٦ - صعوبة الاعتماد على صحة البيانات وصدقها في غياب الباحث .

٧ - يصعب عملياً إعادة الاستمارات غير الواضحة أو الناقصة إلى أصحابها لتكتملتها أو توضيحها .

٨ - يفضل الناس الكلام على الكتابة عادة وعلى ذلك فإذا أردنا ردهم كتابة تطلب هذا أن تكون لغة الجدول من نوع معين يجذب الاهتمام ، وقد يكون ذلك على حساب بعض الموضوعات أو الأسئلة .

٩ - يصعب الحصول على قائمة بعناوين الأفراد ذرى الدخل المحدود .

١٠ - يميل أغلبية الناس إلى التأخر في الرد وهذا يتطلب الانتظار فترة طويلة لضمان الحصول على أكبر عدد من الردود .

١١ - يستبعد من قائمة الأسئلة عادة الأسئلة التي قد تضايق أو تخرج المختبر بينما يكون التمهيد لها سهلاً في طريقة المقابلة الشخصية .

هذا ويمكن التغلب على عدد كبير من العيوب السابقة إذا ما وزع الاستبيان باليد عن طريق بعض من يهتمون بالمساعدة أو يكون لديهم الاستعداد لذلك على أن يكونوا مسئولين عن إعادة الردود ثانية . وقد نجحت هذه الطريقة في بعض البحوث التي اعتمدنا فيها على طلبة المدارس في تسليم الاستبيان لأولياء أمورهم . كما يمكن أن نتجنب تحيز العينة أيضاً عن طريق الاستعانة بالمقاباة الشخصية في الحالات التي لم ترد بعد فترة معينة .

## الملاحظة Observation

تعتبر الملاحظة من أهم الطرق المستخدمة لجمع البيانات . كما أنها في الوقت نفسه أقدم هذه الطرق جميعاً إذ لم يكن عند الإنسان فيما مضى سوى هذه الطريقة للدراسة ، والواقع أن كثيراً من أنماط السلوك يمكن دراستها عن طريق الملاحظة المباشرة كما هو الحال في ملاحظة الأطفال وتصرفاتهم عندما يجتمعون معاً ، كيف يلعبون وكيف يتشاجرون وكيف يتعاونون وكيف يعتدون على بعضهم ، كل هذا يمكن ملاحظته في كثير من السهولة واليسر . أما من ناحية دراسة المشاكل الاجتماعية فقد خلقت الملاحظة مجالات كثيرة للدراسة ، بدأت أولاً بالكتابات الصحفية التي كثيراً ما أوجت بدراسة عدد كبير من المشاكل علمياً ، وعلى الرغم من أن العلماء لا يقبلون في العادة ما يكتبه الصحفيون كأساس للتعميم إلا أنهم كثيراً ما يستفيدون في دراساتهم العلمية بما يكتبه هؤلاء الصحفيون .

وتنقسم الملاحظة كوسيلة لجمع البيانات إلى نوعين يختلفان عن بعضهما في الطرق التي تجمع بواسطتها هذه البيانات . وهذان النوعان هما الملاحظة غير الموجهة والملاحظة الموجهة وستتكم عن كل منهما :

### الملاحظة غير الموجهة Non-Controlled Observation :

وهي الملاحظة التي يلجأ إليها الباحث دون استخدام آلات ضابطة أو وسائل معينة لقياس الظاهرة موضوع الدراسة . وفي هذه الحالة إذن ، تترك الظروف التي تم فيها الملاحظة ، والمواد التي تسجل للباحث نفسه وإلى العوامل التي قد تؤثر عليه . وقد استخدم كثير من الباحثين الأول هذا النوع من الملاحظة للوصول إلى البيانات التي يريدونها كما كان يفعل بوث ولنبرج Lundberg ، وقد تميزت دراساتهم بما كان يصاحبها من بيانات وصفية .

ويعيب طريقة الملاحظة غير الموجهة أنها تعطينا شعوراً بأننا نعلم عما نلاحظه أكثر مما نعلم فعلاً ، وعلى هذا الأساس يتجه بنا شعورنا نحو التحيز دائماً . ولكننا مع ذلك

وفي كثير من الظروف لا نجد أمامنا سوى هذا النوع من الملاحظة لاستخدامه لأن مواقف الحياة التي يمكن أن نطبق عليها ظروف الملاحظة الموجهة قليلة . وهذا يدعونا إلى أن نلجأ إلى الملاحظة غير الموجهة في حالات كثيرة ، وما علينا والأمر كذلك إلا أن نختار الوقت المناسب للملاحظة ، وذلك من ناحية الظروف التي تتم فيها الملاحظة وأوضاعها الاجتماعية المناسبة ، ولهذا يحسن دائماً أن ندخل على هذا النوع من الملاحظة عدداً من الطرق والأجهزة التي تتناسب وموضوع الدراسة كلما أمكن ذلك .

وقد تتميز الملاحظة غير الموجهة بعدم المشاركة وذلك حينما تكون الملاحظة عن بعد ودون علم الأشخاص موضوع الملاحظة كأن يمر الباحث في أحد الأحياء لملاحظة ما يفعله الناس ثم يسجل ما يراه دون علم هؤلاء الناس ويطلق على هذا النوع من الملاحظة :

Non-controlled and non-participant observation.

ويعيب هذا النوع أن أثر العامل الشخصي يكون واضحاً وذلك حينما لا يتمكن الباحث من فهم أو تعليل كثير مما يدور أمام عينيه .

وقد تتميز الملاحظة غير الموجهة بالمشاركة ويطلق عليها :

Non-controlled participant observation.

والباحث في هذه الحالة يعيش وسط الجماعة موضوع الملاحظة كما قد يشاركها حياتها وبذلك تكون الجماعة على علم بشخصيته وبالغرض من وجوده معها ومن دراسته وبذلك يمكننا أن نقرر بأن شارلز بوث قد استخدم طريقة الملاحظة المشاركة في دراسته لسكان لندن حينما اشترك في حياة هؤلاء الناس لفترة من الزمن استطاع خلالها أن ينفذ إلى أعماق حياتهم الخاصة وكان من المستحيل أن يصل إليها ما لم يكن قد استبعد تلك الفوارق الاجتماعية والعقلية التي كانت تقوم حائلاً بينه وبين هؤلاء الناس ، وذلك عن طريق المشاركة الفعلية .

أما في بحث Middletown لروبرت وهلين ليند فقد لجأ الباحثون الذين كانوا يعاونونها في البحث إلى المعيشة مع الأسر في غرف يؤجرونها من أصحابها وذلك لكي تسهل عليهم عملية الملاحظة المشاركة ، موجهة كانت أو غير موجهة . ويكتب روبرت وهلين ليند عن ذلك : « لقد كان القائمون بالبحث يشاركون السكان حياتهم في المدينة كلما أمكن

ذلك ، كانوا يعقدون الصداقات ويشاركون في شتى المناسبات كما لو كانوا من سكان ميدلتون، وقد مكثهم هذا من الحصول على بيانات تلقائية كثيرة (بعيدة عن التكلف) ، كانوا يتناولون عشاءهم أحياناً مع مدير أحد المصانع ، وأحياناً أخرى مع أحد زعماء العمال أو مع أحد عمال اليومية ، كما كانوا خلال فترة البحث يذهبون إلى الكنائس ويحضرون الاجتماعات المدرسية والسياسية وجلسات المحاكم والاجتماعات العمالية والمحاضرات وحفلات العشاء السنوية ، كما كانوا يترددون على الأندية ويشاركون حتى في حفلات اللعب بالوزق وهكذا تمكنوا في نهاية فترة الدراسة من الحصول على كثير من البيانات التي ما كان يمكن الحصول عليها إلا عن هذا الطريق <sup>(١)</sup>.

#### الملاحظة الموجهة Controlled Observation :

تعتبر الملاحظة الموجهة امتداداً للملاحظة غير الموجهة من ناحية أن الثانية هي التي مهدت الطريق للأولى . وتقوم الملاحظة الموجهة على أسس منظمة وخطط محددة تسبق عملية الملاحظة نفسها وتوجه هذه العملية في الوقت نفسه . وعلى ذلك وجدناها تتميز بتعريفها الدقيق للوحدات التي ستكون موضع الملاحظة ، والبيانات التي ستسجل دون أن يترك ذلك لعامل الصدفة أو للاختيار الوقفي ، كما تتميز أيضاً باستخدام الوسائل الآلية والاختبارات وكل ما يساعد على الدقة في الملاحظة قدر الاستطاعة .

ومن أهم الدراسات التي قامت على أساس هذا النوع من الملاحظة تلك التي قامت في ميدان الطفولة وحيث استخدمت مجموعة متنوعة من الأدوات مثل أجهزة تسجيل الصوت والحركة وجداول تسجيل مراحل النمو والتي تستخدم في العادة في مرحلة ما قبل باوغ سن المدرسة بدلا من اختبارات الذكاء . كما تستخدم الملاحظة في هذا المجال أيضاً عدداً من الأدوات الميكانيكية والجداول والرسوم والتي تستخدم لتسجيل ما يحدده وي عي الطفل الفعلي وتصرفاته ومدى تحكمه في جسمه ورد الفعل الاجتماعي ، على أن يسجل في الجدول تفصيلات ما يقوم به الطفل من جهد نحو هدف معين .

ومن هذه البحوث ما عمل على أطفال الحضانة في الولايات المتحدة وأشهرها

ما قامت به دوروثي سوين Swaine في معهد Yale للعلاقات الإنسانية، وحيث كان الأطفال يهيأون للملاحظة دون تنبيههم إلى أنهم ملاحظون، وكان الاهتمام يوجه أساساً إلى التصرفات الاجتماعية وأساليب رد الفعل نحو مجموعة مختلفة من المؤثرات يوجهها الأطفال أثناء وجودهم في الحضانة وخاصة ما تعلق منها بالأشياء التي تخص غيرهم، وتصرفاتهم نحو غيرهم من الأطفال. وإذن فالملاحظة كأداة من أدوات البحث تتميز بأنها تسمح بتسجيل السلوك وقت حدوثه مما يقلل معه تأثير ما يمكن للذاكرة أن تحرفه، هذا علاوة على أن هناك كثيراً من الموضوعات التي يكون من الأفضل أن تستخدم فيها طريقة الملاحظة إذا أريد دراستها كما هو الحال في دراسة العادات الاجتماعية وطريق التعامل بين الناس وطريق تربية الأطفال، كما تتميز الملاحظة عن غيرها من الطرق بأنها لا تتطلب من الأشخاص موضع الملاحظة أن يقرروا شيئاً، بل إنهم في كثير من الأحيان لا يعلمون أنهم موضع الملاحظة إطلاقاً، وبذلك تخلصنا الملاحظة من حرج المقابلات الشخصية والاختبارات والتجارب التي قد يتردد الناس في المعاونة فيها أو الإجابة عن أسئلتها، كما قد يضيعون بها أولاً يجدون لها متسعاً من الوقت.

هذا ولا تخلو طريقة الملاحظة من عيوب، فقد يتطلب الأمر دراسة ظواهر معينة عن طريق الملاحظة ولكن قد يصعب في حالات كثيرة التنبؤ بوقوعها مقدماً، بل إنه في حالة وقوعها قد نجد أن ملاحظتها تتطلب كثيراً من العناء والجهد. وهذا ما يحدث إذا أردنا ملاحظة ما يحيط بظاهرة كالزواج أو الوفاة في مجتمع معين، وحيث يضطر الباحث إلى انتظار مثل هذه الظواهر فترة غير محدودة، هذا علاوة على أن هناك من الموضوعات ما يصعب أو تتعذر ملاحظته كما هو الحال فيما يختص بالسلوك الجنسي أو الخلافات العائلية وحين يصبح من الأيسر في مثل هذه الحالات أن نلجأ إلى طرق أخرى كالمقابلة الشخصية.

## الاتصال التليفونى Telephone Interview

يعتبر الاتصال التليفونى للحصول على البيانات فى البحوث الاجتماعية من أحدث الطرق التى استخدمت لهذا الغرض ، وبخاصة للحصول على البيانات التى تتعلق برأى المستمعين إلى الراديو أو مشاهدى التلفزيون ، كأن يسأل الشخص الذى يرد على المكالمات إن كان جهاز الراديو وقت طلبه مغلقاً أو شغلاً ، فإن كان شغلاً ، يسأل عن البرنامج أو المحطة التى يستمع إليها ، كما قد يسأل عن رأيه فى برنامج معين يكون قد استمع إليه خلال فترة معينة تسبق الاتصال التليفونى .

ولا تقتصر طريقة الاتصال التليفونى على البيانات الخاصة بمستمعى الراديو ومشاهدى التلفزيون بل إن كثيراً من البحوث التى يرغب أصحابها فى توفير الوقت والنفقات تلجأ إلى استخدام هذه الطريقة كأن يقوم الباحث بالاتصال بربات البيوت للحصول على رأيهن فى سلعة معينة أو الحصول على بيانات تتعلق بأجور الخدمات وساعات عملهن وكيفية تأمينهن وغير ذلك من موضوعات .

ويمكن عند اختيار العينة أن يقتصر الاتصال التليفونى على من لديهم تليفونات ، وأن يكون الاتصال شخصياً بمن ليس لديهم تليفونات .

ونظراً لما توفره هذه الطريقة من وقت ونفقات أصبحت - وخاصة فى الولايات المتحدة - من الطرق التى يعتمد عليها فى البحوث التى تتطلب السرعة والرخص ، إذ يمكن لباحث واحد أو باحثين عمل الاستفسارات اللازمة بين جزء كبير من سكان مجتمع ما فى وقت قصير ذلك لأنه فى الإمكان الاتصال بعدة مئات من الأفراد فى يوم واحد وطريقة الاتصال التليفونى كغيرها من الطرق لها مزاياها وعيوبها ويمكن تلخيصها فيما يلى :

مزايا طريقة الاتصال التليفونى :

١ - تعتبر أسرع طريقة للحصول على البيانات إذ يمكن للباحث أن يقوم بثلاثين اتصالاً فى ساعة واحدة إذا كانت مهمته قصيرة .

- ٢ - وجد أن نسبة رفض الإجابة محدودة في العادة ولا تزيد على ٣ ٪ من أفراد العينة ، وينحصر العيب هنا في عدم رفع الساعة إطلاقاً أو في انشغال التليفون .
- ٣ - يمكن استخدام هذه الطريقة في الوقت المناسب للحصول على البيانات وهذا من شأنه استبعاد عامل النسيان أو ما تحرفه الذاكرة .
- ٤ - يسهل تمرين ومراقبة الباحثين بحيث يمكن اجتماعهم مع المراقبين أو المراجعين في غرفة واحدة أثناء العمل .
- ٥ - يسهل تعديل الأسئلة وجعلها متناسب من باحث لآخر .
- ٦ - قلة نفقاتها والتي لا تتجاوز قيمة المكالمات التليفونية .
- ٧ - الاطمئنان إلى توزيع أفراد العينة وذلك لسهولة الحصول على قائمة بأسمائهم وعناوينهم .

- ٨ - تعتبر هذه الطريقة مطمئنة من ناحية تمثيل أفراد العينة للمجموع إذا ما كانت الدراسة تتعلق بطبقات معينة يملك أغلب أفرادها أجهزة تليفون .
- ٩ - يمكن باستخدام هذه الطريقة أن يشمل البحث أفراداً تفصل بينهم مسافات طويلة في مدينة معينة دون أن يكون ذلك سبباً في زيادة النفقات .

#### عيوب طريقة الاتصال التليفوني :

- ١ - لا يكون أفراد العينة في العادة ممثلين للمجموع بشكل يدعو إلى الاطمئنان . ذلك لأن هؤلاء الذين يملكون تليفونات في بيوتهم لا يمثلون سكان أى مجتمع تمثيلاً صحيحاً لأنهم يكونون فئة معينة من ناحية الدخل . ولما كان للوضع الاقتصادى دائماً ارتباطاً بالوضع الاجتماعى أصبح مما يعيب البحث الاقتصار على عينة من هذا النوع ، والعينة على هذا الأساس تكون متحيزة ومضللة إن لم تعتمد هذه الطريقة على وسائل تعمل على استبعاد هذا العيب بأن نضيف إلى العينة نسبة ممن ليست لديهم تليفونات نحصل على بياناتها عن طريق الاتصال الشخصى مثلاً . أما إذا كان البحث مركزاً على طبقة معينة كالطبقة الوسطى أو الطبقة الغنية في مجتمع من المجتمعات فإن العينة تصبح أكثر تمثيلاً للمجموع .

- ٢ - لا يمكن للمكالمات إلا أن تقتصر على عدد محدود من الموضوعات ، لأن فترة

الاتصال يجب أن تكون قصيرة في حدود دقيقتين مثلاً ، أما إذا كانت قائمة البحث طويلة فغالباً ما تدعو إلى ضيق المختبر الذي قد يلجأ إلى إنهاء المكالمة أو إعطاء بيانات خاطئة عمداً يضطر الباحث إلى قبولها دون مناقشة خاصة وأنه لا يرى المختبر شخصياً ، ولا يمكن والأمر كذلك أن يستتج ما يدور في ذهنه من مغالطة .

٣ - يصعب عن طريق الاتصال التليفونى الحصول على البيانات الشخصية مثل تلك التى تتعلق بالسن والدخل والجنسية .

٤ - يصعب الإباحة تليفونياً ببعض البيانات التى تتعلق بالرأى خاصة وأن وضع المختبر لا يمكنه من التأكد من شخصية الذى طلبه .

٥ - تقتصر مثل هذه البحوث على المدن نظراً لأن نسبة من لديهم تليفونات في المجتمعات الريفية ضئيلة جداً .

٦ - لا يكون لدى المختبر في العادة الوقت الكافي لتكرير إجابته أو تهيئة نفسه للإجابة .

٧ - يكون الباحث في وضع لا يمكنه من ملاحظة الأثر الذى يتركه السؤال على المختبر ، ولهذا أهميته في بعض البحوث .

٨ - يصعب تأمين سرية البيانات في التليفونات المشتركة ، وهى شائعة في الخارج .

٩ - لا تستغرق المكالمة سرى فترة قصيرة جداً ، والباحث لكى يعمل أربع ساعات في اليوم مثلاً لا بد له أن يقوم بعدد كبير من المكالمات ، وفي هذا كثير من المضايقة والملل .

## الفصل الرابع

### العينات وطرق اختيارها

- مقدمة
- طرق اختيار العينة
- طرق اختيار وحدات العينة
- حجم العينة

obbeikandi.com

## الفصل الرابع

### العينات وطرق اختيارها

#### مقدمة :

من أهم المسائل التي تواجه الباحث الاجتماعي عند شروعه في القيام ببحثه هو تحديد نطاق العمل . وعلى الرغم من أن لكل باحث ظروفه الخاصة التي تحدد نطاق العمل اللازم له والمجهود والمال الممكن بذلها في سبيل إنجازه ، إلا أنه من الواضح أنه كلما زاد عدد المفردات التي يشملها البحث أياً كان نوعه أصبحت النتائج التي يتوصل إليها الباحث مستندة إلى أساس أقوى ، غير أن مشقة العمل من جهة وإمكان الحصول على نتائج لا بأس بها بإجراء التجارب على عدد محدد من المفردات من جهة أخرى ، هو الذي يجعل البحوث العلمية تقوم على أساس دراسة عينات محدودة ، مختارة من المجموعات التي نرغب في التعرف على خواصها بدلاً من دراسة المجموعات الأصلية ذاتها . والواقع أنه في معظم الحالات يكاد يكون من المستحيل عملياً وصف المجموعات الكبيرة إلا عن طريق دراسة عينات تمثلها ، على أنه من الواضح أن محاولة التعرف على خواص المجموع عن طريق دراسة عينة مختارة منه تنطوي على بعض التضحية في دقة النتائج التي نحصل عليها . ويتوقف مقدار هذه التضحية إلى حد كبير عن طريقة اختيار العينة التي ستكون موضوع البحث .

وهناك نقطتان يجب مراعاتهما في اختيار العينات ، تختص الأولى بنحو العينة من التحيز في صورته المختلفة ، وتختص الثانية بحكم العينة وعلاقته بدرجة الدقة التي يمكن أن نتوقعها عند تعميم النتائج التي نحصل عليها من دراسة العينة على المجموع الذي اختيرت منه ، وهو الهدف الذي نسمى إليه دائماً من دراسة العينات ، كما يجب أن يكون هناك تعريف واضح للمجموع ومفرداته بوضوح تماماً ماذا تمثل العينة .

## طرق اختيار العينة

هناك عدد من الطرق التي تتبع في اختيار العينة منها الطريقة العشوائية والطريقة الطبقيّة والطريقة الغرضية ، Purposive Sampling والتي تتمثل في اختيار عينات تكون متوسطاتها عند الاختيار متفقة مع المتوسطات المعروفة للمجموع وذلك في عدد من النواحي تمهيداً لاختيار نواح أخرى غير معروفة . ولاختيار العينة طريقة أخرى لا يراعى فيها أى نظام معين في الاختيار ويطلق عليها Unsystematic Sampling . وسنكتفي في هذا الجزء من الكتاب بدراسة الطريقتين الأوليين لأنهما أوسع طرق اختيار العينة انتشاراً وأكثرها اعتماداً على قانون الاحتمالات وأبعدها عن التحيز تبعاً لذلك .

### الطريقة العشوائية Random Sampling :

يطلق هذا الاسم على طريقة اختيار العينة التي تعطى كل مفردة من مفردات المجموع نفس الفرصة للظهور ، وسنرى فيما بعد كيفية ممارسة هذه الطريقة . وهي تتميز بما يلي :

١ - لا تتطلب معرفة سابقة بمميزات أو صفات المجموع ولا بكيفية توزيع هذه الصفات بين أفراد ، وعلى ذلك فلا داعي لمعرفة صلة الأفراد بالظاهرة موضوع الدراسة مقدماً .

٢ - تعتمد هذه الطريقة أكثر من غيرها على قانون الاحتمالات مما يبعدها عن عنصر التحيز إذا كان استعمالها دقيقاً .

وإلى جوار هاتين الميزتين ، نجد هذه الطريقة عيوباً منها :

١ - يحتاج الأخذ بها إلى قائمة حديثة كاملة بأسماء مفردات المجموع .

٢ - يتطلب استخدامها ترقيم كل أفراد المجموع مع ما يتبع ذلك من عمالة الاختيار وما تتطلبه من إضاعة كثير من الوقت والجهد .

٣ - يتطلب الأخذ بها أن يكون حجم العينة كبيراً إذا قيست بحجمها إن اختيرت بالطريقة الطبقية التي سنشرحها بعد .

٤ - يكون أفراد العينة الذين يختارون بهذه الطريقة في أغلب الأحوال مبعثرين جغرافياً في مدى أوسع مما يعمل على بذل جهد أكبر ونفقات أكثر .

#### الطريقة الطبقية Stratified Sampling :

تختلف هذه الطريقة عن الطريقة العشوائية في أننا نبدأ أولاً عند الأخذ بها بتصنيف المجموع طبقياً إلى قسمين أو أكثر ، ثم نأخذ العينة المطلوبة بعد ذلك من كل طبقة بإحدى الطرق العشوائية العادية، فإذا أردنا مثلاً أن نحصل على عينة تمثل طلبة إحدى كليات الجامعة نطلب الأمر أولاً أن نقسم المجموع إلى قسمين الأول للطلبة والثاني لاطالبات ، فإذا أردنا عينة قدرها ١٠٪ أخذنا من كل من القسمين النسبة المطلوبة بإحدى الطرق العشوائية . وبذلك نضمن أن تكون العينة ممثلة للتوعين بحسب توزيعهما الحقيقي في المجموع ، بينما لو كنا قد أخذناها منذ البداية بالطريقة العشوائية من قائمة واحدة ما كان مؤكداً أن تصبح العينة ممثلة للتوزيع الحقيقي . وعلى ذلك يمكن إجمال مميزات هذه الطريقة فيما يلي :

- ١ - ضمان تمثيل العينة للمجموع عن طريق أخذ نسبة معينة من كل طبقة .
- ٢ - يمكن باستخدام هذه الطريقة الاكتفاء بعدد محدود من كل طبقة ، ويدعو ذلك بالتالي إلى صغر حجم العينة ، وذلك بعد أن تأكدنا من تقسيم المجموع إلى طبقات متقاربة ، وهذا يدعو في النهاية إلى توفير الجهد والنفقات .
- ٣ - يمكن في بعض الحالات باستخدام هذه الطريقة أن نحصل على عينة تتميز بعدم بعثرتها جغرافياً مثل تلك التي نختارها بالطريقة العشوائية ، وذلك في حالة اختيار عينة تمثل مدينة معينة قبل وبعد تقسيم المدينة إلى أحياء معينة .
- ٤ - تفيد الطريقة الطبقية كثيراً في حالة استخدامنا لطريقة المقابلة غير المباشرة في الحصول على البيانات لأننا سنعرف منذ البداية نواحي التمييز في العينة لنعمل على تجنبها باستخدام بعض الوسائل الأخرى لتكملة الحالات الناقصة .

ولهذه الطريقة عيوبها أيضاً من ناحية أن تقسيم المجموع إلى طبقات معينة، ثقافية أو اقتصادية أو اجتماعية يتطلب أن يكون القائم بالتصنيف على علم مقدماً بعدد كبير من المتغيرات وصلتها بموضوع البحث ، هذا علاوة على أن عملية التصنيف في حد ذاتها مضيعة للجهد والوقت .

## طرق اختيار وحدات العينة

يجب أن يكون اختيار مفردات العينة على أساس عشوائي بصرف النظر عن الطريقة التي تستخدم لاختيار العينة نفسها ، عشوائية أو طبقية أو غيرها ، وفيما يلي توضيح لطرق هذا الاختيار :

### ١ - الاختيار بالقرعة Selection by lot :

ويتمثل هذا الاختيار في إعطاء كل فرد من المجموع رقماً يكتب على ورقة صغيرة ، على أن تكون كل الأوراق متساوية في المساحة والسمك ، ثم توضع الأوراق في إناء أو صندوق وتخلط جيداً ثم يسحب العدد المطلوب من الأوراق دون نظر للإناء أو الصندوق أثناء عملية السحب . ولاشترط تساوي الأوراق في المساحة والسمك أهمية من ناحية أننا إذا كنا نسحب أوراقاً مطوية في إناء مثلاً نجد أن الأصابع تميل إلى التقاط الأوراق الكبيرة .

وواضح من هذه الطريقة أنها مضيعة للوقت من ناحية ضرورة إعداد قطع صغيرة من الورق ثم إعطاء رقم لكل اسم أو حالة في القائمة الأصلية للمجموع ، ثم كتابة الأرقام على الأوراق ، وأخيراً تسجيل الأسماء من الكشف الأصلي بعد السحب . وقد يستعاض عن هذه الطريقة بقائمة الأرقام العشوائية ، وهي قوائم رتب الأرقام فيها بطريقة غير متحيزة بحيث تعطى الأرقام جميعاً فرصة متساوية لظهور ، كما قد يستعمل عجلة الروليت في اختيار الأرقام عشوائياً . وإن كان من الضروري التأكد من أن العجلة غير متحيزة لأرقام معينة .

### ٢ - الاختيار على أبعاد منتظمة Selection at regular intervals :

وتتمثل هذه الطريقة في اختيار العدد المطلوب للعينة من القوائم أو من بطاقات الأسماء على أبعاد رقمية ثابتة أو مسافات معينة واحدة ، فإذا أردنا اختيار عشر الأسماء التي في القوائم مثلاً اتبعنا لذلك الخطوتين التاليتين :

( أ ) إحضار عشر أوراق صغيرة ورقمناها من واحد إلى عشرة ، ثم نسحب واحدة منها لتحديد الرقم الذي سنبدأ به ولنفرض أنه كان سبعة .

( ب ) نبدأ بعد ذلك باختيار الاسم رقم ٧ ثم ١٧ ، ٢٧ ، ٣٧ وهكذا حتى تنتهي كل الأسماء التي في القوائم . ونعتبر الحالات التي اختيرت هي العينة المطلوبة .

ويمكن القيام بنفس الخطوتين بالنسبة للبطاقات إن كان لكل فرد في المجموع بطاقة . فإذا ما كانت هناك صعوبة لكبير عدد البطاقات أو لأن البطاقات مثبتة في أحد الأدراج يصبح من الأفضل في هذه الحالة أن يكون الاختيار على أساس الأبعاد المتساوية وذلك بضم البطاقات إلى بعضها واستعمال المسطرة لاختيار بطاقة كل مستمتر واحد أو كل ٢ سم بحسب ما يتطلبه حكم العينة . ويشترط في هذه الحالة أن يكون سمك البطاقات واحداً وإلا كانت النتيجة منحيزة للبطاقات السميكة . وإذا كانت البطاقات مثبتة في أكثر من درج ينقل الباقي بعد آخر اسم إذا تبقى شيء لكي يضاف إلى البطاقات التي في الدرج الذي يليه .

وقد يكون الاختيار على أساس مكان أو أمكنة معينة في القائمة كأن يختار مثلاً أول اسم أو آخر اسم أو الاسم الذي يتوسط كل صفحة وإلى آخر ذلك من طرق للاختيار .

### ٣ - الاختيار على أساس المربعات Selection from grids :

وهي طريقة تستعمل إذا أردنا اختيار عينة تمثل إقليمياً أو قطراً أو مدينة بواسطة تقسيم الخريطة الخاصة بالإقليم أو المدينة إلى مربعات متساوية . وليس من الضروري تقسيم الخريطة نفسها وإنما يستخدم لذلك عادة ورقة شفافة مقسمة إلى مربعات توضع فوق الخريطة ثم ترقم مربعاتها إذا لم تكن مرقمة ، ونختار بعد ذلك الأماكن المطلوبة كعينة على أساس الأرقام التي تكون قد اختيرت عشوائياً ولتكن مثلاً المربعات رقم ١٠ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ إلخ وهذه الطريقة عيوبها في الدراسة لأنها قد لا تعبر عن سكان القطر أو المدينة لأنها تعطي المربعات ضئيلة أو عديمة السكان نفس الفرصة التي تعطى للمربعات مكتظة السكان ، كما أنها تعطي الأقاليم الكبيرة في القطر الواحد فرصة للظهور أكبر من تلك التي تعطى للأقاليم الصغيرة .

## ٤ - الاختيار بواسطة الباحثين أنفسهم :

قد يترك الأمر في بعض البحوث للباحثين أنفسهم أمر اختيار أفراد العينة ، ويحدث ذلك في العادة عندما لا يكون هناك مجموع محدد ، كأن يكون هناك اتجاه للاستفتاء حول موضوع أو مشكلة معينة ، ويترك للباحثين في هذه الحالة حرية اختيار عينة عشوائية بقدر الاستطاعة . ويأخذ على هذا النوع من العينات أنها كثيراً ما تكون متحيزة إذا لم يراع في اختيارها عدد من الاحتياطات التي يمكن تلخيصها فيما يلي<sup>(١)</sup> :

- ١ - تجنب الاختيار المتعمد ، فلا يختار أفراد العينة بحكم كونهم تحت يد الباحث أو لأنهم مهتمون بموضوع البحث أو بحكم مستواهم الثقافي .
- ٢ - عدم تركيز الاختيار في أحياء معينة أو أماكن بالذات كالمحلات التجارية أو المصانع .
- ٣ - عدم سؤال الأقارب أو الأصدقاء القريبين .
- ٤ - عدم البحث عن أشخاص معينين بحكم استعدادهم للتعاون أو لأن لديهم آراء طريفة .
- ٥ - تكون مقابلة المختبرين في منازلهم إذا كان للبحث صلة بالمسكن .
- ٦ - عدم التمييز في اختيار البيوت ، فلا يكون هذا الاختيار على أساس معرفة الباحث لأهلها أو لأنها مما يسهل دخوله أو لأن مظهرها يعجب أو لا يعجب الباحث .
- ٧ - عدم اختيار أكثر من فرد واحد من الأسرة في البحث الواحد .
- ٨ - عدم اختيار الأشخاص وهم في وسط جماعة .
- ٩ - القيام بعدد من الاختبارات في فترة بعد الظهر وكذلك خلال العطلة الأسبوعية .
- ١٠ - أخذ فكرة عامة أولاً من المنطقة المطلوب عمل البحث فيها لأن هذا يساعد على الاختيار غير المتحيز .

## حجم العينة Size of Sample :

إن أهم ما يسعى إليه الباحثون في الدراسات الحقلية من ناحية اختيار العينة هو أن تكون هذه العينة ممثلة للمجموع تمثيلاً صحيحاً حتى تصبح النتائج مما يمكن تعميمه على المجموع . أما عن حجم العينة ذاته فإنه عامل ثانوي من ناحية الصغر أو الكبر ما دام تمثيل المجموع متوافراً . وعلى ذلك فلا صحة لما يقال من أن العينة يجب أن تكون على درجة معينة من الكبر أو الصغر أو أن العينة يجب أن تحددها نسبة مئوية من مجموع المفردات لا تقل عن ١٠٪ أو عشرين في المائة وإلى آخر ذلك من النسب التي قد يكون توافرها مستحيلاً في كثير من البحوث التي تتميز بارتفاع عدد من يشملهم البحث . حتى يبلغ هذا العدد الملايين في بعض الحالات . وكما يغالى البعض في ضرورة إجراء البحث على عينة كبيرة يمكن الاعتماد عليها ، يرى البعض الآخر على العكس من ذلك أنه إذا أمكن اختيار العينة بحيث تكون نموذجاً صحيحاً للمجموع أصبح في الإمكان الحصول على نتائج دقيقة من العينة تصل في حجمها إلى ٠,٠١٪ من المجموع<sup>(١)</sup> .

ويقول رمز Remmers في موضوع تحديد حجم العينة « تكون العينة كافية إذا كانت دقيقة ومثلة »، وتعتمد كفايتها على الطريقة المستعملة في اختيارها ، وعلى نوع التحقيق . ومع أن حجم العينة يعتبر عنصراً هاماً في تحديد كفايتها ، إلا أن الأساس لا يجب أن يكون النسبة المئوية للعينة إلى المجموع ، بل معرفة مدى كفاية العينة للتعميم<sup>(٢)</sup> .

وتقول ميلدرد بارتن Parten « إنه لمن الخطأ أن يكون حجم المجموع هو الذي يحدد حجم العينة الكافية . . . يجب ألا يكون اهتمامنا مركزاً على عدد وحدات المجموع بل على عدد وحدات العينة »<sup>(٣)</sup> .

وتقول بولين ينج Young « إذا كان المجموع متجانساً من ناحية الصفات التي

( ١ ) Royal Anthropological Institute of Great Britain, Notes and Queries on Anthropology (London, 1951) p. 53.

( ٢ ) H.H. Remmers, Introduction to Opinion and Attitude Measurement (N.Y., 1951) p. 39.

( ٣ ) Mildred Parten; Surveys, Polls and Samples, (N.Y., 1950) p. 291.

تريد دراساتها فإن عينة صغيرة قد تعطينا نتائج يعتمد عليها أكثر من تلك التي نحصل عليها من عينة كبيرة لمجموع مختلف من ناحية هذه الصفات»<sup>(١)</sup>.

ومن كل ما سبق نرى إجماع العلماء على مدى كفاية العينة للتعميم وليس على حجمها نفسه حتى ولو بلغ حجمها من الصغر مبلغاً كبيراً « غير أن مشقة العمل يجب ألا تتخذ عذراً لجعل العينات من الصغر بحيث لا تتوافر فيها صفة تمثل المجموع بدرجة معقولة من الدقة . إذ أنه بدون توافر هذه الشروط يصبح البحث الذي نجربه لا قيمة له مطلقاً ، بل ربما أصبح مضللاً وخطيراً إذا بنينا آراءنا وتصرفاتنا عليه . فن الخطأ مثلا أن نعلن نظافة قطر يضم عشرين مليوناً من السكان من وباء حل به على أساس فحص عشرات أو حتى مئات من الأفراد والثبت من خلوصهم من هذا الوباء . وبالمثل فلا يجوز أن نقول إن متوسط أجر العامل في مدينة كبيرة كمدينة الإسكندرية خمسة جنيهات في الشهر إذا كان عدد العمال الذين سجلنا أجورهم ١٠ عمال أو ٥٠ عاملاً أو حتى ٥٠٠ عامل . وإنما تكون نتائجنا أقرب إلى الدقة إذا كان بحثنا شاملاً لخمسة آلاف أو عشرة آلاف أو خمسين ألف عامل ، إذ من الواضح أن درجة الدقة تزداد كلما زاد عدد المفردات التي يشملها البحث أو بعبارة أخرى زاد حجم العينة»<sup>(٢)</sup>.

ولم تعد مسألة تحديد حجم العينة تترك للتخمين أو للتقدير الشخصي وإنما أصبحت تخضع لعدد من المقاييس والنظريات الإحصائية التي تحدد حجم العينة المناسب للمجموع بالذات . ولما كنت لا أجد هذا الكتاب مجالاً لشرح مثل هذه المقاييس والنظريات الإحصائية فإني أكتفي بتوجيه من يريد التوسع في هذا الموضوع إلى الباب الثاني عشر من كتاب « طرق الإحصاء » للدكتور محمد حمدي مظلوم وإلى الباب الثامن من كتاب « الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية » للدكتور السيد محمد خيرى ويعتبر هذان المرجعان على رأس المراجع التي كتبت في هذا الموضوع باللغة العربية .

(١) Pauline Young, Scientific Social Surveys and Research (N.Y., 1953) p. 332.

(٢) محمد حمدي مظلوم : طرق الإحصاء (الإسكندرية ، ١٩٤٨) صفحات ٣٦٢ - ٣٦٣ .

obeikandi.com

رقم الايداع	٨٧/٤٢٨٨
الترقيم الدولى	١٧٧-٠٢-٢٠٧٠-١

٣/٨٧/٤  
طبع بطابع دار روتا برينت